الثوار الشعراء

في أرض العرب

مختارات من

شعر الكفاح والقوة

- الشيخ ناصيف اليازجي
- ابو القاسم الشابي
- ابراهيم طوقان
- عمر ابو ريشه
- عدنان الراوي
- عبد الرحيم محمود
- رشيد الخوري (الشاعر القروي)
- شفيق المعلوف وغيرهم .. وغيرهم ..

اشرف على اختياره وجمعه وقدم له

عمر ابو النصر

تحركوا ايها العرب :

أمـــتي

أمتي هل لـك بينَ الأممِ منبرٌ للسيف أم للقـلمِ
أتلقـاك وطرفي عاتب خجـل من امسك المنصرم
كيف أقدمتِ وأحجمتِ ولمْ يشتفِ الثـأر ولم تنتقمي
اسمعي نوح الحزانى واطربي والحي دمعَ اليتامى وابسمي
ربَّ (وا معتصماه)[1] انطلقت مـلء أفواه الصبايا اليتّم
لامست أسماعهم لكنهـا لم تلامسْ نخـوةَ المعتصمِ

عمر ابو ريشه



نصارعكم رفاتاً أو عظاما

كما شئتم فما نخشى انتقاما خلقنا للأسى صبراً كرامـا
نفى عنا المخاوف انَّ فينـا عزائم تصرع الموت الزؤاما
ولو مات امرؤ منـا شهيدا لصارعكم رفاتاً أو عظامـا

عبد الحميد الديب

---

(١) قصة المعتصم الخليفة العباسي ان امرأة عربية كانت اسيرة عنـد الروم في (عمورية) فعذبت وأهينت ، فنادت : وامعتصماه ..
فلما سمع المعتصم الخبر ، قال : لبيك ، وزحف بالجيش على ارض الروم وأناخ عـلى عمورية فما زال بها حتى فتحها وأحرقها .

البطولة والفداء عند العرب

البطولة :

كانت البطولة ، وما تزال ، مهوى أفئدة الشباب والناس في كل عصر من عصور التاريخ، ذهب المؤرخون العرب المذاهب في وصفها والفخر بها ، وكان لشعرائهم في وصف هذه البطولة ، الكلمة البارزة والشعر الخالد .

وتعود بي الايام والأعوام .. الى عهد الطفولة وعبث الشباب ، فإذا هذا الشباب .. يتطلّع الى البيت، يقطر منه الدم ، يردّده ، ويدغدغه ، ويطول ليله في ترديده وترجيعه، وقد كنا ، يعلم الله ، من هذا الشباب الذي يستخفه الفخر يقيمه ويقعده ، ما تعلـّق بالمجد العربي ، من نثير ونظيم ، وما فيه من قعقعة الرمح وصليل السيف وزمجرة الاسد .

وكان (عمرو بن كلثوم) — وهو من اصحاب المعلقات — من أصدقائنا المقرّبين الينا بروحه وشعره طبعاً ، كان يطربنا شعره ويثيرنا وصفه وفخره ، وكانت معلقته ، من المقدسات ، التي نحفظها ونغنـّيها ، وهي ، في الواقع ، من أجود شعره ، وأبقاه على الزمن في تاريخ الادب .

ويقول المؤرخون في سبب هذه القصيدة ، التي اصبحت النشيد الوطني ، لقبيلة (تغلب) يردّدها صغارها وكبارها، جيلا بعد جيل،ان (عمرو بن هند) ملك الحيرة طلب من امه ان تستخدم ام عمرو بن كلثوم — وكان هذا يساوقه الفخر والمجد في ارضه وبين قومه — اذا نزلت ام عمرو بها، ففعلت ام الملك، ما أوصاها بـه ابنها ، وطلبت من (ليلى ام عمرو بن كلثوم) ان تناولها

طبقاً، فرفضت هذه ونادت بصوت عال، (واذلاه يا لتغلب) فسمعها عمرو، فثار الدم في وجهه ، وقام الى عمرو بن هند ، فقتله ثم سار على رأس قومه الى الجزيرة .

المعلّقة :

ويقول بعض المؤرخين في صدد هذه القصيدة .. ان تأثيرها بلغ من قبيلة (تغلب) بحيث اصبحت حديثهم وحديث أخلافهم وبنيهم وحتى انها ألهتهم عن كل شيء ، فاكتفوا بها عن كل مجد مقبل ، وعزّ تليد .. واعتبروها القبلة والمصلّى لآمالهم وأحلامهم وأمجادهم .

حتى قال الشاعر يعيّرهم ويسفّه احلامهم :

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ   قصيدة قالها عمرو بن كلثومِ

وما دام الكلام قد جرى ومضى في هذه القصة ، فلنذكرن لك بعد هذا شيئاً مختاراً من هذه المعلّقة الرائعة ، المليئة بالفخر والاعتداد بالنفس .

قال الشاعر يخاطب ملك الحيرة :

أبا هند فلا تعجل علينا   وأنظرنا نخبّرك اليقينا
بأنّا نورد الرايات بيضاً   ونُصْدِرُهنّ حمراً قد روينا
وأيام لنا غرّ طوال   عصينا المُلك فيها ان ندّينا

فإذا وصل الى مواطن الفخر في قصيدة راح يقول :

بأيّ مشيئة عمرو بن هند   تُطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تُهددنا وتوعدنا رويداً   متى كنا لأمك مقتوينا
فإن قناتنا يا عمرو أعيت   على الاعداء قبلك ان تلينا
وقد علم القبائل من معدّ   اذا قُببٌ بأبطحها بنينا
بأنا العاصمون اذا اطعنا   وأنا العارمون اذا عصينا

وأنا المنعمون اذا قدَرنا وأنا المهلكون اذا ابتُلينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وصدر البحر نملؤه سفينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطام لنا رضيعٌ تَخِر له الجبابر ساجدينا

فإذا وصل الى النساء العربيات يسرن خلف القافلة الغاضبة قال :

على اثارنا بيض حسان نحاذر ان تُفارق او تهونا
اخذن على فوارسهن عهدا اذا لاقوا فوارس معلمينا
َليستلبنّ أبدانا وبيضا وأسرى في الحديد مُقرنينا
يَقُتنَ جيادنا ويقلنَ لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا

صفي الدين الحلي :

ومن الشعراء الذين تعلقنا بهم .. وولعنا بشعرهم يوم كنا في عهد الدراسة. الشاعر صفي الدين الحلي .. وهو من مواليد القرن الرابع الهجري .. واشتهر بمدح امراء الدويلات التركية التي نشأت في ارض العرب ذلك العهد .

وكان من امره ، وفي اول نشأته ان اسرة آل ابي الفضل اعتدت على خال له فاستنجد شاعرنا بأمراء النواحي وبرؤساء العشائر حتى انتقموا له من خصومه ، وثأروا لخاله ، فقال قصيدته الشهيرة هذه ، ونحن ننقل منها بعض أبياتها ، وهي من القصائد التي ولع مدرسو الادب في نشرها وإذاعتها ودعوة طلابهم لحفظها :

سلي الرماح العوالي عن معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
وسائلي العرب والاتراك ما فعلت في أرض قبر عبيد الله أيدينا
بضمّر ما ربطناها مسوّمة إلا لنغزو بها من باتَ يغزونا
وفتية ان نقل أصغوا مسامعهم لقولنا أو دعوناهم أجابونا
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة يوما وإن حكّموا كانوا موازينا

اذا ادّعوا جاءت الدنيا مصدّقة وإن دعوا قالت الأيـام آمينا
إنا لقوم أبت أخلاقنـا شرفاً ان نبتدي بالأذى من ليس يؤذينـا
بيض صنائعنا ، سود وقائعنـا خضر مرابعنـا حمر مواضينـا
لا يطلع الفجر منّا دون نيل مُنى ولو رأينا المنايا في أمانينـا

عنترة بن شدّاد :

وهناك شاعر ثالث لا نغالي اذا قلنا انـه كان رفيق الطفولة ، وصديق الحداثة .. ذلك هو عنترة بن شدّاد ، الذي حفلت بمغامراتـه وحوادثه نشأتنا الأولى .. فأثار اعجابنا ونحن صغار .. وتتبّعنا ونحن اطفال أخباره ووقائعه وغزواته ، في المجموعة المشهورة باسمه ، فكانت حياته مادّة من مواد الطفولة ، حفزتنـا في كثير من الأحايين على ترسّم خطواته ، والتشبه به ، وترديد شعره ، والتغني بمفاخره ، فهو الشاعر الذي لن ينسى عربيّ اسمه ، وهو الفارس الذي ولد معنا، وكان له في حياتنا الأولى أبعد الأثر ، وأعظم التأثير .

وعنتر بن شداد من قبيلة عبس احدى قبائل مضر ، وكانت هذه القبيلة في سالفات الأيام تسكن نجداً ، وكانت أمّه حبشية سوداء ، اسمها زبيبة ، سباها(شدّاد) أبوه في بعض غزواته ، فأولدها عنترة ، واستعبدها وابنها، فلما استوى عنتر شاباً قوياً .. وفارساً بطلا ، تمكن في ذات يوم ، وحين غزتهم قبيلة (طيّ) وأصابت منهم.. من ردّ العدوّ عن قومه ، واسترجاع الإبل التي ظفر بها العدو ، حرّره أبوه وأعتقه ، واعترف ببنوّته .

وكان عنتر الى هذا أسود الوجه كأمه الحبشية ، وكان كثيراً ما يعيبه خصومه على سواده ، فكان يعمل جاهداً للتحرر من هذا العيب ، وكان يشعر ان لا سبيل الى غسل هذا العيب إلا ببسالته وشجاعته، فما زال يجاهد ويتأتى لغايته بالمران والطِراد ، حتى استقامت له البطولة، وظفر بالفروسية،

واعترف له خصومه وأعداؤه بأنه البطل الذي لا يعرف الخوف ولا الموت .

وعشق عبلة ابنة عمه في صباه ، فطلبها من أبيها ، فأباها عليه ، وكان لا يزال عبداً ، فحفزه هذا للمعالي والأمجـــاد يطلبها عن طريق الفروسية والسيف ، وأهاجت فيه هذه الأغراض المثالية الشعر ، فجاء صافيـاً صخباً فخماً ، واجتمع له مع هـذا الشعر القويّ الفخم ، الخلق الجميل والشجاعة النادرة والمروءة والإباء والكرم ، فبزّ غيره ، وظهر على سواه .

امثلة من اشعاره :

ولماذا نذهب بعيداً في وصفه، وشعره يمثل روحه واخلاقه احسن تمثيل، اقرأ مثلاً هذه القصيدة فإنها في الواقع صورة صادقة لعنتر واخلاق عنتر :

حكّم سيوفك في رقاب العذل	واذا نزلتَ بدار ذل فارحل
واذا الجبانُ نهاكَ يوم كريهةٍ	خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولا تحفـل بهـــا	واقدمْ اذا حقّ اللقاء بالاول
واخترْ لنفسك منزلاً تعلو بـه	او مت كريماً تحت ظل القسطلِ
لا تسقني مـــاء الحياة بذلة	بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ
مـــاء الحياة بذلةٍ كجهنمٍ	وجهنمٌ بالعزِ اطيبُ مـنزلِ

نشيد الجيش :

ولقد يصح ان يكون شعر عنتر نشيد كل جيش عربي ، تتغنى به كتائبه وهي في زحفها على العدو ، ولا ادلّ على هذا من هـــذه الأبيات المختارة من قصيدة له يتوعد الفرس ويصف معركة جرت بين قومه وبينهم :

ولقد لقيت الفرس يا ابنة مالك	وجيوشها قـد ضاق عنها البيد
وتموج موج البحر إلا انهـــا	لاقت اسوداً فوقهن حديـد
جاروا فحكّمنا الصوارم بيننا	فقضت وأطراف الرماح شهود

يوم الشهداء :

وتمضي ايام الشباب الاولى ، فإذا طريقنا في الحياة مخضوضب بالدم كثير الشهداء ، غزير الضحايا .

واذا التاريخ الماضي والحاضر ، يحمل اليّ اسماء وأسماء من شباب العرب الذين وقفوا في وجه الطغيان ، ووقفوا في وجـــه الاحتلال ، ودافعوا عن ارض الاوطان ، وطلبوا المعالي في ساحة المعركة ، ومجد السيف والحسام .

اسمـــاء ردّدها كل شباب العرب ، وخضبت بدمها كل ارض من ارض العرب .. من مصر الى فلسطين الى سورية والعراق ولبنان .. ففي مصر لهم بطولات ، وفي العراق وسورية مثلها ، وفي لبنان أناشيد وضحايا ، وفي الجزائر آلاف وآلاف من القبور التي اخضوضرت الارض حولهـا ، وجعلت من ارضها رياحين وزهوراً يعبق شذاها الى ما وراء حدود المغرب .

وهناك فلسطين ، وقد كثرت ضحاياها ، وسيكثر عدد شهدائها . مـا ظلّ الاحتلال الصهيوني قائماً فيها .

أسماء عربية خالدة ، بينها من تعرفه ، وبينها من تجهله ، فليس كل شهيد معروف اسمه ، وليس كل وطن جـــاهد وقاتل في ارض العرب الشاسعة معروف المصير .

ولكن الذي لا شكّ فيه ، ان ارض العرب تعجُ بهذه الضحايا المجهولة ، التي بدأت منذ عهد الفتوحات الأولى ، تحمل قلبهـا وروحها لنشر الدين ، ونشر الحضارة من الجزيرة الى أقصى الأرض وأدناها .

ثم طوى الدهر نهضتنا الأولى ، وحضارتنـا السالفة ، وانقسمنا وتفرّقنا شيعاً .

واذا العرب ، بعد ان روّعتهم الصدمة في فلسطين ، يعودون الى أنفسهم ليبدأوا نضالهم ، ويحرّروا بلادهم من الاستعمار والصهيونية .

وكان لا بدّ لنا من شهداء جدد ، وضحايا عديدة .

وهذه هي قصة هؤلاء الشهداء ، الذين تحرّكوا في الساعات الأولى من الصباح او المساء .. صوب فلسطين .. او صوب أيّ بلد عربيّ آخر يحاربه الاستعمار، ليعيدوا الى الارض الشهيدة عزّتها وحريتها واستقلالها..وليدافعوا عنها .. حتى النهاية .. ويحاربوا في سبيلها حتى الثمالة .. يمضون في طريقهم ، لا يردّهم وعيد الخصم .. ولا يصدّهم غضب المنتقم القويّ ..

الايام الجاهمة :

كثيرون في ارض الوطن أحسّوا بهذا الوعي القومي الذي نحسّه ولمسوا في النفوس العطشى هذا الوجد للاستقلال الذي نلمسه .. والذي اصبح بفضل هذه الحفنة من الرجال أمراً واقعاً وشيئاً منظوراً .

ويذهب بي الفكر الى ليالي الاستعداد والتحفز الاولى ، التي تتقدّم الهجوم وتستبق المعركة ، فإذا الشهداء قبل الهجوم يصلون ويكبّرون ، وقد طال شوقهم الى يوم الشهادة ، وساعة الموت، فهدأت قلوبهم وصفت نفوسهم، فما اضطرب منهم فرد ولا ارتعد انسان .. ذلك ان كلّ واحد منهم قد اطمأن الى انه مقبل على نهار شديد الصحو ، والى ربيع دائم الخضرة، وعلى أعظم تضحية يقدّمها انسان لأمته .. ولو رحت أقصّ ما شاع في نفوس الشهداء ، حين استقرّ بهم العلم الى أنهم الى مآبهم ذاهبون ، وفي سبيل الوطن سيستشهدون، وكيف شمل الجميع سرور يخالطه إشراق واستبشار لما اسعدني اليراع ولالتوت عليّ الألفاظ والبيان .

كيف تريدون ان اصف لكم موقف قوم باعوا أنفساً تموت غداً ، بأنفس لا تموت أبداً .

لقد كان الشهداء في مختلف العصور قوماً شرّفهم القدر ، وأرادهم الله على الموت في سبيل أمة ، فقضى بعضهم نحبه في الدفاع عن ارض الوطن، وسقط

البعض الآخر برصاص العدو الغادر ، وتعلّق جماعة منهم على الأعواد ، فإذا الدنيا حديث عنهم ، وإذا الموت الذي تخطّفهم الواحد بعد الآخر ، قد أورق واعذوذب ، واذا به نهاية مرحة رائعة عذبة ، بعد ان كانت جاهمة عابسة مخيفة .

يخيل اليّ اني اتكلم بلسان كل عربي يقرأ كتابي هذا ، احدثكم بما احسّه واستشعر به ، فما أعلم ان الصروف التي عصفت بأرض الوطن ، قد اضعفت املكم بقدرة هذا الوطن على النهوض من عثرته ، كما ان مصارع الاحبة الذين تحملوا الأذى والطغيان في سبيل فكرة ابدعتها نفوسكم ، وتحدثت بها ألسنتكم وهتفت بها قلوبكم ، لم تضعف عزيمتكم ، ولا اوهنت نفوسكم ، فما شهداؤكم إلا منكم ، انتم أبناؤهم ، وحملة رسالتهم ، ورثتم فكرتهم ، وحريّ بكم ان تسيروا سيرتهم ، موحدين صفوفكم ، معززين وطنكم ، ليأخذ مكانه في صدر الوجود ورأس التاريخ .

يوم الشهيد :

لقد كان يثيرني ويشجيني ابداً ودائماً قول الشاعر العربي :

لا مرحباً بغد ولا اهلا بـــه ... ان كان تفريق الأحبة في غد

ومع هذا كله ، ومع شدة يوم غـــد وقسوته علينا ، فقد اردناه كأمة عيداً قومياً ، وأردناه يوماً يضحك فيه الربيع في خمائـــل الشرق ومنازل العروبة ، حتى اذا مررنا بالسواقي التي تحمل في هديرها أغاني آبائنا ، وأناشيد الغزاة من ابطالنا ، الذين لقوا مصارعهم في الجبال والصحاري وحول المعاقل والحصون، وفوق الروابي، وعلى ضفاف الانهر، من اقصى الارض الى اقصاها، يوم ركبوا الخيل لفتح الارض ، وتنظيم المدن ، وإقامـة الحضارة ، تفتحت نفوسنا عـن معنى التضحية ، واستجبنا لداعي الوطنية والوحدة القومية ، وهدمنا هذه الخلافات القائمـة وهذه التقاليد البالية ، وتذكرنا كيف جمعنا

الاستشهاد لهـــدف واحد ، وغرض واحد ، وكيف اقسم رجالنا ونساؤنا وأطفالنا ليصونن ارض الوطن ، ويجنبنها العوادي والشرور صفاً واحـداً ، وجماعة واحدة ، وقلباً واحداً .

سيطل يوم غد علينا ، فنذهب جميعاً بأنفسنا وقلوبنا الى حيث ينام بعض شهدائنا ، لا لنبكي على عزيز مضى ، ووالد قضى ، وإنما لنستنشق هذا العطر الذي يفوح من اجداثهم ، ونؤكد لهم عزمنا على المضي بالأمانـــة التي نحملها باسمهم الى آخر ما يكون من ذريتنا .

ان هذا الليل يسير في سبيله هادئاً ساكناً ، فإذا أشرق صباحه وطلعت شمسه سرى في بعضكم يا شباب العرب طائف لا اعرف كيف اسميه ولا اصفه ولكنه يماثل الكهرباء في تأثيره ، فإذا ألمّ بكم ، تعلقت منكم نفوس ، واضطربت افئدة ، واهتزت قلوب وتوالت عليّ وعليكم ذكريات الماضي البعيـد ، والشهيد الحبيب ، يمضي لمآبه مع جماعة من رفاقه ، لا يفارقهم ولا يفارقونه ، وقـد حالوا بينه وبين اهله ، ونحيّ عنه شباب بلده وكهول قومه ، وأحاط بـــه الحرس والجند حتى اذا غيّبوه في بقعة صغيرة من ارض الوطن ، وظنوا انهم قد انتهوا من امره ، وأخمدوا ذكره ، بدأت حياته الجديدة خالدة في نفوس أبنائه وأصدقائه ، فإذا الشهيد البعيد ينام في نفوسنا ، واذا رسالته قـــد تملكت كل مشاعرنا وعواطفنا .. واذا الثائر الغاضب لحرية بلاده ، واستقلال قومه ، قـــد جمع الصفوف ووحد القلوب ، لهدف واحد ، وأمل واحد ، وسبيل واحد .

هذا الكتاب :

ليس في هذا الكتاب جديد ، إلا انــه مختارات من الشعر الثوري الذي نظمه بعض الشعراء المعاصرين العرب ، يستفزون به شعور الأمة ، ويقدّرون الشهادة ، ويعيدون ذكر ضحايانا في كل درب وسبيل .

- ٢ -

ثورة العرب

أمة مسالمة :

ليس في العالم اليوم أمة أبعـد من الأمة العربية أطماعاً ورغبة في الغزو والتبسط في الأرض .

والعرب قوم يكرهون الاستعمار ، وكل ما يتصل به ويتعلق فيه ، وقد خبروه وعجنوه وابتلوا به ، فهم يعرفونه ويعرفون خطره وشروره .

وهم يريدون بناء ما أفسده الغرب من ارض وطنهم ، وسعيه الملحّ الدائم ليظلوا متأخرين مستضعفين جاهلين .. لا يعرفون من أسرار الحيـاة شيئاً ، ولا يحسنون من ألوان الصناعة أمراً ، ولهذا تقدّم الغرب ، وتأخر العرب ، وعلى العرب اليوم ان يعوّضوا عمـا فاتهم ، وان يعملوا لاستدراك السنوات العديدة التي سلخوها في الجمود والعزلة ، لعلهم يلحقون الأمم الكبيرة الـتي سبقتهم ، ومكنت نفسها في الحضارة والعمران .

ولقد كان من شأن الاستعمار أن فرض على مصر عـدم غزل القطن الذي ينبت في ارضها ، والاكتفاء بزراعته فقط ، على ان تشتريه مغازل انكلترا بالسعر الذي تشاء، ثم ترسله مغزولاً الى مصر ليباع الى أهلها بأسعار فاحشة .

ولما صار اكتشاف البترول في ارض العرب ، كانت اربـاح الشركات الغربية والاميركية من عملية استخراجه أضعاف أرباح اصحاب البترول .. ثم تعدّلت هذه الاتفاقيات ، بعد الضغط الشعبي العربي ، الى ان اصبحت على حالتها الحاضرة وهي ما تزال فاحشة ظالمة .

ثم ان الشعب العربي ، رغم تعلقه بدينه ، وإيمانه برسالة محمد ، أقلّ الشعوب تعصباً لدينه ، والإسلام بالتأكيد دين رحب الصدر ، لا إكراه فيه لأحد ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحرّم العدوان ، ويحظّر الحروب إلا اذا كانت دفاعاً عن النفس ، فإن جنح العدو للسلم بعد ذلك ، جنحنا له ورحّبنا به .

لقد كانت اوروبا تطارد اليهود في كل مكان نزلوه .. اما العرب فقد فتحوا بلادهم لليهود ، وغير اليهود ، ولم يتعرّضوا لهم بأذى ، ولا حاولوا اخراجهم عن دينهم ، وهذه ظاهرة غريبة ، حين يعلم المرء انها كانت قانوناً متبعاً عند العرب منذ مئات السنين ، وحين كانوا في أوج عزّهم ومنعتهم .

والواقع انه منذ اكتشاف البترول والاطمئنان الى وجوده ، اصبحت الدول الغربية في حاجة ملحة الى الاستيلاء على مصر وبقية البلاد العربية ، للسيطرة على طريق البترول ومواطنه .

ولما كانت طريق القوافل البحرية عن طريق رأس الرجاء الصالح طويلة شاقة ، وكانت طريق القنال أقصر وأسهل وأهون . ولما كانت هذه الطريق هي طريق الهند ، وطريق أملاك انكلترا فيما وراء البحار ، فقد انصبّ اهتمام السياسة الانكليزية على هذه المنطقة ، اكثر من أيّ منطقة اخرى.

كانت هذه البلاد في هذا الوقت ، تحت الحكم التركي ، وكانت تركيا الرجل المريض في اوروبا .. وقد ساعدت انكلترا تركيا في بعض الحالات ، واعتبرت ضعفها مفيداً لها ولسياستها .. وكان ان استولت على مصر لحماية طريقها الى الهند كما تقول ، حتى انها خاضت معارك كثيرة في هذا السبيل ، لم تجازف بمثلها في أي مكان آخر .

والتاريخ يؤكد .. ان انكلترا تدخلت في احدى عشرة مغامرة حربية ودولية في سبيل الشرق ، للاحتفاظ بمطامعها فيه ، مما لم تحاوله في أي مكان من ارض العالم .. مع وجود مصالح كثيرة لها موزعة هنا وهناك .

وكانت البلاد العربية هي الضحية دائماً وابداً .. تلعب بها الدول الاجنبية كأنها لعبة الشطرنج .. وكلما حاول العرب في مكان ، المطالبة بحرياتهم ، تقدمت الدولتان : انكلترا وفرنسا لاخماد الشعلة ، والقضاء على الثورة .. كما فعلت انكلترا في مصر لما حاربت ثورة عرابي ، وأيدت الحكم الفاسد ضد الشعب المصري .. وكما حاولت فرنسا في سورية والجزائر .

الخروج من الظلمات :

لقد كانت السنوات التي استبقت الحرب العالمية الاولى ، سنوات صعبة مريرة في حياة الشعوب الآسيوية والشرقية ، التي كانت تجاهد لتحيا وتحصل على لقمة العيش .

ففي الفترة التي وقعت بين سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٩١٤ ، تمكنت اربع دول اوروبية هي انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا ، من استلاب اراض تملكها شعوب غير اوروبية ، تقدر مساحتها اضعاف مساحة اوروبا ، ويسكنها خمسائة مليون نسمة .

وبعد سقوط مصر في قبضة الاستعمار ، سقط السودان ، ثم مراكش والجزائر وتونس .. التي تمكن منها الاستعمار الفرنسي ، وأما باقي البلاد العربية فكانت لا تزال تحت الحكم التركي .. وقد صار تقسيمها بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى .. وتم توزيعها بين الدولتين الاستعماريتين انكلترا وفرنسا .. مع ان الحلفاء وعدوا هذه البلاد بالحرية والاستقلال ، اذا انضمت شعوبها للحلفاء في اثناء الحرب .. فلما فعلت هذه الشعوب ما طلبه الحلفاء منها وتمّ لهم الانتصار .. تجاهلوا وعودهم واعتبروا البلاد العربية من جملة الغنائم والاسلاب .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد ، لكان الشر هيناً ، ولاعتبر العرب ان عليهم ان يبدأوا جهادهم من جديد للوصول الى حرياتهم واستقلالهم ..

ولكن الحلفاء امعنوا في تمزيق البلاد العربية ووحدتها .. وأيدوا الصهيونية العالمية في مطاليبها .. ووعدوها بوطن قومي يهودي في ارض فلسطين ، مما نتج عنه بعد ذلك استلاب اليهود لهذه الارض .. وتزولهم في قلب الارض العربية ، ليكونوا رقبة جسر للاستعمار .. يعاونونه في كل عدوانه ، ويساعدونه في كل شر جديد يحيكه ضد العرب .. وضد تحررهم وقوميتهم .

وأخذ العرب على الأثر يحسون بالخيانة التي ارتكبها الغرب نحوهم .. وأدركوا ان عليهم ان يعتمدوا على انفسهم اذا أرادوا الوصول الى حرياتهم .

على سواعدهم يتوقف تحررهم .. وعلى اخلاصهم لقضيتهم يرتبط مصيرهم كشعب يريد ان يسترد مكانه في صدر الوجود .

وبدأوا على الأثر يحاولون الخروج من الظلمات .. التي يريد الاستعمار بقاءهم فيها .. فنشبت الثورات ضد المستعمرين في مصر ، بعد الحرب العالمية الأولى ، وفي سورية والعراق وفلسطين ، وفي شمالي افريقيا .

وأخذ الاستعمار يحاول القضاء على هذه الثورات بشتى الوسائل ومختلف الأسلحة . وبدأ العرب يقاومون القوّة بالقوة ، وينازلون الخصم وجهاً لوجه .

وكان شرّ ما يواجه العرب ، هذه الصهيونية المجرمة .. التي اخذت تعمل على توطيد أقدامها في فلسطين ، قلب البلاد العربية .

وكان العرب يعرفون ان قيام دولة صهيونية في فلسطين ، معناه تمزيق الوحدة العربية .. وصرف أنظار العرب عن الاستعمار وأخطاره ، لمواجهة هذا الخطر الداخلي الجديد .

وكان الغرب في تقويته وتعزيزه للصهيونية في فلسطين ، إنما يرمي الى هذه الغاية ، ويعمل لهذه النتيجة .

كان على العرب ان يبذلوا مزيداً من العرق والجهد ، للوصول الى اغراضهم .

وكان عليهم ان يوحّدوا صفوفهم لمقاومة العدو المشترك .
وكان عليهم ان يحيوا كراماً أو يموتوا كراماً .
لم تكن هناك خطة وسطى .
إما الموت وإما الحياة .
فقد شبعنا من الظلم ، وشبعنا من الاستعباد ، وشبعنا من الهوان .
آن لنا أن نعيد أمجادنا ، يوم كنا ، ولا تسل كيف كنا .
نحكم الشرق والغرب .
ونقرّر سياسة الشرق والغرب .

النهضة الاولى :

كانت النهضة العربية الاولى والبعث الاول يقومان على التسامح والعدل ومكارم الأخلاق.. وكان من أثر هذا البعث أن ربطنا بين المشرق والمغرب.. فوحّدنا بين الأمم المختلفة ، وسوّينا بين الناس .. وربطنا بين الأمصار ، وأسّسنا المدن ، وبسطنا العدل ، ونقلنا المعرفة الى كل مكان ، فما أشرف القرن الرابع الهجري، حتى بلغنا من العمران والحضارة ما لم تبلغه أمةقبلنا.

كانت أنوار المعرفة والعلم تشعّ في عواصم ثلاث : بغداد عاصمة العباسيين، والقاهرة عاصمة الفاطميين ، وقرطبة عاصمة الأمويين في الأندلس ، بعد ان دالت دولة الأمويين في دمشق،وهي الدولة التي مكنت لكل هذه الفتوحات، التي امتدت من المشرق الى المغرب ، من المحيط الأطلسي حتى تخوم الصين .

أنشأنا في قارّات ثلاث من القارات الخمس التي يتألف منها العالم ، ثلاث دول في وقت واحد ، ورفعنا في هذه القارات الثلاث ثلاثة أعلام ، الأسود في بغداد ، والأخضر في القاهرة ، والأبيض في قرطبة ، ثم أخذنا ننقل معارف الاغريق والرومان الى شعوبنا، وحضارات الشعوب القديمة الى شبابنا

وطلاب العـــلم فينا ، وظللنا نحكم الدنيا حتى استشرى الفساد في حكامنا ، وامتدّ الترف الى اغنيائنا ، وعمّ الفساد مجتمعنا ، بعــد ان فسد حكامه ، وضلّ كبّاره ، وانقسمنا على انفسنا ، فتخاذلنا وحملنا السيف نحارب بعضنا بعضاً ، ونكيد لبعضنا بعضاً ، حــتى اصبحت ديارنا وآثارنا وحضارتنا يتقسمها المغول والترك والفرس والاسبان ، فلمــا نزل التتار بلادنا لم نستطع وقوفاً امامهم ، ولمـا غزا الصليبيون ارضنا لم نتمكن من اخراجهم منها إلا بعد مائة عــام من احتلالها ، وبعد ان نكبونا في آثارنا وحضارتنا وقوتنا العسكرية ، بما يجلّ وصفه ويعز تسجيله ، ولم يكن حالنا في الاندلس احسن منه في بغداد والقاهرة ، فقــد تمكن الغرب منا بعد ان تفرقنا شيعاً ، فقتل منا من قتل ، وذُبح من ذبح ، فرحلنا عن الاندلس ، الى المغرب .. والى شمالي افريقيا ، لا نحمل معنا من آثارنا ، إلا مفاتيح المنازل التي كانت لنا ، والمعاهد التي كنا نملكها والمساجد التي كنا اصحابها .

كانت هذه الصدمات من القوة بحيث تفرق شملنا، واصبحنا ممالك صغيرة يكيد بعضها للبعض الآخر ، دون ان يستطيع واحدها الدفاع عن نفسه ، اذا ما حمي الوطيس ، ودارت المعارك .

فلما اقبل القرن السادس عشر تمكن الترك باسم الخلافة الاسلامية من ضمّ هذه الاجزاء المتفرقة من الشعب العربي ، فملكوا ارضنا ، وفرضوا سلطانهم علينا ، وحكونا بالعسف والقهر ، واذلونا بالفقر والجهل ، وحلت اللغــة التركية محل العربية في دواوين الحكومة ، ومدارس الدولة ، فلمــا انحسر الترك عنا بعد الحرب العالمية الاولى ، لم يتركوا بعدهم اثراً ولا خبراً .. فقد اتوا وذهبوا وكأن القوم ما كانوا .. إلا ما كان من افساد كل شيء ، وهدم كل أثر ، وتعطيل كل اصلاح ، حتى الارض الخضراء تركوها سوداء قاحلة ، لم تمتد اليها يدهم بغير الاهمال والتدمير .

امام كل هذه الويلات التي اصابتنا ، لم يمت وعينا العربي .. ولا تناسينا ذكريات الايام الماضية السعيدة .

اخذت نسائم الحرية ، وحب الاستقلال والانعتاق من العبودية ، تساور احـلام الكتاب العرب في اواخر القرن الثامن عشر وانبعثت من وراء الرقابة الشديدة والجاسوسية اليقظة ، اصوات الادباء تهيب في خفوت وحذر بالراقدين ان يهبوا ، وبالقاعدين ان ينهضوا ، وسمع الناس اول مـا سمعوا صرخات العرب المسيحيين لسوء سياسة الترك فيهم ، وقسوة الحكام عليهم كفتح الله مراش ، ورزق الله حسون ، وأديب اسحق وابراهيم اليازجي صاحب البائية المشهوره التي نظمها في ١٨٩٦ ومطلعها [١] :

تنبهوا واستفيقوا أيهـا العرب	فقد طمى السيل حتى غاصت الركب
كم تُظلمون ولستم تشتكون وكم	تُستغضبون ولا يبدو لكم غضب
ألستم من سطوا في الارض واقتحموا	شرقاً وغرباً وعزوا ايـنما ذهبوا
فـما لكم ويحكم اصبحتم هملا	ووجـه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لـكم يشتد ازركم	بهـا ولا ناصر للخطب ينتدب
اقداركم في عيون الترك نازلة	وحقكم بـين ايدي الترك مغتصب

والقصيدة كلها على هـذا النسق من استنهاض العزائم لاسترجاع المجد الذاهب ، واسترداد الحق المغصوب .. وهي مثل لما كانت تنشره الصحف وترويه المجالس في مهاجر الاحرار بمصر وأوروبا واميركا .. وكانت هـذه الصيحات المذكرة المنذرة تجـد تشجيعها من مدحت باشا والي تركية على العراق ثم على سورية ، لأنه كان يطمع في ان يستقل بالشام كما استقل محمد علي بمصر . فقويت حركة الاصلاح ، واتسعت دائرة المعارضة ، واشترك فيهـا المسيحيون والمسلمون على السواء ، ونهض يومئـذ المصلح الحلبي المعظم الشيخ

---

(١) الاستاذ احمد حسن الزيات في مقالاته عن (الادب والثورة) .

عبد الرحمن الكواكبي المتوفي سنة ١٩٠٢ ، فألف كتابيه القيّمين : (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) .. دعا في الاول الى تحرير المجتمع العربي من العادات الضارّة والاعتقادات الفاسدة ، ودعا في الآخر الى خلافة عربية ، يكون مقرّها جزيرة العرب . فكان لهذين الكتابين أثر قويّ في انعاش الفكرة العربية ، قطع الترك على المؤلف من جرائهما كل سبيل ، وشرّدوه في كل أفق .

ثم تجاوبت بأناشيد الذكرى والالم والأمل صيادح الشعر على ضفاف دجلة وبردى والاردن .. فيقول الرصافي من قصيدة عنوانها (تنبيه النيام) :

عجبت لقوم يخضعون لدولة ... يسوسهم في الموبقات عميدها
وأعجب من ذا انهم يرهبونها ... وأموالهم منهم ومنهم جنودها

ويقول الزهاوي من قصيدة نظمها في سنة ١٨٩٧ :

لقد عبثت بالشعب أطماع ظالم ... يحمّله من جوره ما يحمّل
فيا ويح قوم فوّضوا امر نفسهم ... الى ملك عن فعله ليس يسأل

ويقول عبد الحميد الرافعي في طرابلس من قصيدة مطلعها :

ما تصلح الدنيا ولا ناسها ... ما لم يل الأقوام اجناسها
هبوا بني العرب إلاّم الكرى ... وقد دها الآمال دهاسها
طلبتم الاصلاح من عصبة ... توتّر بالافساد اقواسها
ألستم نسل القروم الألى ... تقتعل الهامات افراسها
فكم تقيمون على ذلة ... وروضة الصبر ذوى آسها
فجردوا العزم الذي طالما ... شقّ صدورا طال وسواسها

ويقول سليمان الفاروقي في فلسطين :

بنيّ انهضوا واحيوا حياة عزيزة ... حياة تعيد المجد للعرب ثانيا
ألا نهضة شرقية عربية ... تزلزل أقواما وتوهي رواسيا

الا رجــل ذو مرة فيلمّكم	ويرأب صدعاً فيكم بات واهيا
يقوم فــلا يرتد او يبلغ المدى	ويقضي ولكن يبعث السيف قاضيا

الثائرون :

ثم انضم الى ادباء العرب الثائرين على طغيان السلطان احرار الادباء من الاتراك انفسهم ، من امثــال رضا توفيق وولي الدين يكن ، فكان من اولئك كله وقود جزل للثورة التي اشعلتها في تركيا (جمعية الاتحاد والترقي) وكان من نورها ان اعلن الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ ، وكان من نارها ان سقط عبد الحميد في سنة ١٩٠٩ ، وظن العرب انهم سينعمون في ظـلال الدستور بالحرية والمساواة ، ولكن الظن كذب والامل خاب ، وعـــاد الشعراء يقولون مع الفاروقي :

كنا نعلــل بالدستور انفسنا	بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقب
حتى اذا جاء لم يحدث لنــا حدثا	ولا أستـُجيب لنا في مطلب طلب

واشتدت الخصومة بين العصبيتين العربيــة والتركية ، واحتدمت ثورة الادب ثانية في المجلات والصحف ، وترددت اصداؤها في المحافل والاندية ، وتجمعت القوى المتفرقة ، فتألفت الجمعيـات السياسية في العواصم المختلفة ، كجمعية المنتدى العربي ، وجمعية العهد في الاستانة ، والجمعية القحطانية ، والجامعة العربية في مصر ، والجمعية الاصلاحية في بيروت. وكلها كانت تعتمد في الدعاية على الأدب في شتى ضروبه وجميع مظــاهره ، حتى شبّت الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ ، وكانت تركيا خصماً فيها لانكلترا وفرنسا ، وهما الدولتان الطامعتان منذ أمد طويل في اقتطــاع الشرق العربي وابتلاعه من تركة الرجــل المريض كما كانوا يسمون الدولة العلية .. وأراد الله جل شأنه ان يهيء الامور لتحرير الامة التي اختارها لاظهار دينه وإعلاء حقه ، فأمرف الاتراك في البغي وأمعنوا في الجور ، وحكموا بالاعدام ظالمين على

صفوة من اقطاب الادب والسياسة شنقوهم سنة ١٩١٥ في ساحات بيروت ودمشق ، فكان استشهادهم المروّع مناحة للأدب في كل قطر ، واستغل الاستعمار الراصد هذه النكبة ، فتقدمت انكلترا الى الحسين بن علي شريف مكة في سنة ١٩١٦ بالوعد ان تجمع له الاقطار العربية كلها تحت تاجه ، فكانت ثورة الحجاز ، وكان انخذال الترك ، وكان استقلال العرب وهماً ، وكذب الانكليز وعدهم وصدق الله وعده، وانتهى امر العرب الى الانتداب.

وعــود :

وعد الانكليز العرب ، في اثناء الحرب العالمية الاولى ، بالاستقلال والحريات ، إن ثاروا على الحكومة التركية .. فصدّقهم العرب .. وأيدوا الحلفاء وحاربوا في صفوفهم .

فلما انتهت الحرب ، مزّق الحلفاء بلادهم .. فأعطوا فرنسة سورية ولبنان ، ونزل الانكليز العراق وفلسطين ، كما بقوا في مصر ، لا يفكرون في اعطائها حقاً من حقوقها ، ولا يعملون للوفاء بوعد من الوعود الكثيرة التي قطعوها لها ، فأصبح العرب من غنائم الحرب ، بعد ان كانوا يظنون انهم سيكونون فيها من اصحاب الغنائم .

وليس من شأننا ان نبحث في هذا الكتاب نزول الملك فيصل الشام، وإقامته دولة عربية فيها، بعد ان اختاره المجلس التأسيسي في سورية باجماع الاصوات لعرشها ، ولا في مهاجمة الفرنسيين له بعد ذلك ، ووقوف الانكليز موقف المتفرج، حتى غادر الشام يائساً... ، فلما نشبت الثورة في العراق بعد ذلك اختاره الانكليز ليكون ملكاً على العراق ، لعله يهدىء النفوس ، ويصون الامن والنظام .

وكذلك خرج العرب بعد الحرب العالمية الاولى، من الحكم التركي الاسود، ضعفاء فقراء جهلاء ، فلم يستطيعوا ان يدافعوا الاستعمار الاوروبي عن

استقلالهم ووحدتهم ، فقسمت فلسطين ومزّقت سورية واحتــــلّ العراق ، وأصبحت الأمة العربية كلها من جبل طارق الى خليج فارس حقول استغلال ومناطق نفوذ بين دولتي الاستعمار فرنسا وانكلترا ، واقتضت هذه التجزئة ان تنقطع بين العرب الاسباب ، وأن يشقّ على الاخوة التواصل ، فـلم يعد لهم من قوة ولا جمعة إلا الادب يتعارفون بــه ويستمدون منه ويجتمعون عليه ، ورأى قادة الفكر وصاغة الشعر ان العروبة التي كانوا يرجون لها ان تعود كما كانت شعلة وهاجة في العالم، قد تقطعت بقرار الدول اقباساً كشموع الاطفال لا تقوى على نسم الريح ، ولا تظهر في حلك الليل ، فنقلوا جنودهم وجهودهم من صراع الطورانية الجاهلة في بغي الاتراك الاتحاديين ، الى كفاح الآرية الجائعة في جشع السكسونيين واللاتنيين .

ولم تكن الحـــالة في مصر ، احسن ولا افضل من الحالة في شقيقاتها العربيات .

لقد ثارت عامة الشعب على الانكليز في مصر سنة ١٩١٩، بعد ان استغل الانكليز الشعب المصري أسوأ استغلال اثناء الحرب .

استغلوهم وقتلوهم ، فسخروا شبابهم وأقوات دوابهم ليمونوا بها الجيوش في الحرب ، وغصبوا حمــيرهم وخيولهم وبغالهم ليحملوا عليها عتاد الحرب فهلك من هالك من الانفس ، وضاع ما ضاع من الاموال ، فتنبه من كانوا غافلين مــن الفلاحين ، الى ان هؤلاء الدخلاء الذين سلبوهم رزقهم وثروتهم هم الذين سلبوهم وطنهم وحريتهم، فصرحوا لهم بالشر، وتفجروا عليهم بالغضب فقطعوا المواصلات في الطرق والانهر ، وقاتلوا الانكليز في المدن والقرى ، ثم تلاقت في هذه الثورة قوة الادب من أعلى وقوة المادة من اسفل ، فظفرت مصر بإلغاء الحماية واعلان الدستور ، ثم ثار الجيش في سنة ١٩٥٢ على طغيان الملك وفساد الحكم وفجور الغنى ، وتبعهم الشعب لا لأنــه أصيب في شبانه وأقواته ومواشيه ، ولكن لأن وعيه كان قد نضج ، ورشده كان قد اكتمل

ومثله كان قد علا ، فرأى انــه امة من الناس يصدق عليه قول الله تعالى : (ولقــد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) .

ثم جرى في خواطر خاصته معنى الحديث المحمدي المأثور : كيفما تكونوا يولى عليكم .. فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : أنحن مــن الفجر والفحش والضلال والانحلال والعفن بحيث يتولى امورنا ملــك داعر كهذا الملك ، وحاشية فاجرة كهذه الحاشية .. وحكومة فاسدة كهذه الحكومة ؟

ولكن الاجوبة التي انبعثت همساً من افواه العامــة الى آذان الخاصة اقنعت الشباب الاحرار من قادة الجيش ان الوطن سليم،وإنما المرض في زعمائه وإن الشعب صالح وإنمـا الفساد في كبرائه ، فخافوا على مصيره قول الله عز قوله : (وإذا أردنا ان نهلــك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) فثاروا على هــذه الحال فأخذوا ذلك الملك الخليع وألقوه في البحر ، وقبضوا على الحاشية الماجنة وطرحوهم في السجن، واتقوا الساسة المريبين فحجزوهم في المعتقل ، وفرزوا الموظفين الغادرين ورموهم في الشارع ، ثم فتحوا ابواب الصلاح والاصلاح على عهد جديد فيه العزة للوطن، والكرامة للمواطن ، والعدالة لكل مظلوم والرعاية لكل عامـل ، والعناية بكل ضعيف ، حتى شعر كل مصري بأنــه ارتفع الى مقام الانسان الكريم الحر ، فأرضه له ، وحكامه منه ، وسعيه لنفسه ، وزمامه بيده .

الثورة المصرية :

لقد كانت الثورة المصرية صورة صادقــة لنفس الشعب المصري .. كانت الاغلبية الساحقة من ابنائه غاضبة ناقمــة ، كان كل واحد من افراد الشعب يريد ان تتبدل الحالة ، وينحسر الطغيان ..

كان الفقير يتمنى ان يستحيل عسره الى يسر ، وبؤسه الى حياة كريمة .

ولم يكن المريض راضياً عن مرضه بالطبع، وأي الناس يرضى ان تكون العلة له حليفاً، وأي الناس لا يطمع في ان يعيش صحيح الجسم موفور العافية قادراً على ان يعمل ويكسب دون ان يكون على غيره عيالاً ، فضلا عن ان تمتحنه العلل والاسقام فلا يجد لنفسه عائلا ولا معيناً .

لم يكن الفقير راضياً عن فقره ، ولا الجاهل راضياً عن جهله ولا المريض مستريحاً الى مرضه ، وكان هـــذا كله يثير في القلوب كثيراً من الموجدة ، ويشيع في النفوس كثيراً من الحزن ، ويجري على الألسنة كثيراً من المطالبة بالتغيير ، ويملأ الجو سخطاً على الذين يقدرون على الاصلاح ثم لا يقدمون عليه عجزاً او خوفـــاً او إيثاراً لأنفسهم بالخير والعافية . وكان بعض الكتاب يصوّرون حزن الشعب وسخطه وآماله وآلامه ، فتقرأ كتبهم ومقالاتهم على مضض في بعض البيئات، وربما صودرت كتبهم وحيل بين الناس وبين قراءتها وقراءة غيرها من الفصول والأنباء التي كانت تنشرها هـذه الصحف ، وكان ذلك يزيد نار السخط تأججاً ويزيد لهبها انتشاراً وكان الحكام يعيشون يوماً بيوم كما يقول الفرنسيون ، وكان بعضهم يحدث نفسه بالمثل القديم : اليوم خمر وغداً امر . فقد ذهب يوم الخمر وجاء يوم الأمر وإنه لأمر عظيم .

ولم تكن آلام الشعب وأحزانه وحدها مصدر هذا السخط وإنما كانت هناك مصادر اخرى تمـــلأ النفوس غيظاً والقلوب حنقاً .. وتوشك ان تملأ النفوس والقلوب بذلك الحسد الذي يفسد الأخلاق ، ويأكل الوطنية كما تأكل النار الحطب. وأي وطنية يمكن ان تقوم في حياة يحسد فيها بعض المواطنين بعضاً ، ويتربص فيها بعضهم الدوائر ببعض، ويدبر فيها بعضهم الكيد لبعض ويتمنى فيها بعضهم لبعض الشر والمكروه .

وكان هناك مصدر آخر ليس اقـــل من هذين المصدرين شراً ونكراً .. فقد عرفت شؤون مصر هـــذه في الخارج وتحدث بها الاجانب في صحفهم ومجلاتهم ، وفي مجامعهم وأنديتهم فأكثروا الحديث .. عرف المصريون ذلك،

قرأوه في الصحف والكتب ، وسمعوه من الاجانب في بلادهم وفي مصر نفسها فضاقوا بـــه أشد الضيق .. وثاروا لهذا الذي يقال عنهم وعن وطنهم في اقطار الارض المتحضرة ، فكرهوا حياتهم العامـــة وبرموا بحياتهم الخاصة وحاولوا التغيير فحيل بينهم وبين هـــذه المطالبة ، ونظر السلطان المصري اليهم على انهم اعـــداء للوطن ، مع انهم لم يكونوا إلا اعداء للذين افسدوا شؤون الوطن ، وجعلوه مضغة في الافواه يستهزىء بـــه المستهزئون ويسخر منه الساخرون .

ومهما انسى فلن انس مقـــالة كاتبين فرنسيين لقيتهما في مصر .. ولم يكن لقائي لهما في يوم واحد ولا في عام واحد، وسألت كليهما حـين لقيتهما عن أثر زيارته لمصر في نفسه فقال كلاهما شيئاً واحداً يعرفه المصريون المثقفون جميعاً، لا لأنهم سمعوه من هذين الكاتبين ، بل لأنهم قرأوه وما زالوا يقرأونه في غير صحيفة وفي غـــير كتاب . قال كلا هذين الكاتبين في كثير من الاستحياء والمجاملة : ان اشد ما فجأه حين ألمّ بمصر .. هو هـــذا التفاوت الشنيع بين الترف المسرف والبؤس المهلك .

- ٣ -

الحركات التحررية في البلاد العربية

الشعر الثوري :

لما اشتدت النقمة على الادارة التركية والاستبداد العثماني بين احرار العرب في مصر والبلاد العربية ، وفي الخارج بين من غادر بلاده من هؤلاء الاحرار ، ظهرت هذه النقمة في الصحف وفي الكتب، وفي الشعر .. والشعر هو سبيلنا في هذا الكتاب .. والشعر الثوري هو الذي نحاول اختياره ..

فمن هذا ما قاله الشاعر جميل الزهاوي حوالي سنة ١٨٩٧ وكان في الاستانة فعوقب بالنفي الى بغداد ، فقال :

وما رابني إلا غرارة فتية ... تؤمل اصلاحاً ولا تتأمل
تؤمل اصلاحاً وترجو سعادة ... ألا باطل ما ترتجي وتؤمل
وما هي إلا دولة همجية ... تسوس بما يقضي هواها وتعمل
فترفع بالاعزاز من كان جاهلا ... وتخفض بالاذلال من كان يعقل
لقد عبثت بالشعب اطماع ظالم ... يحمّله من جوره ما يحمّل
فيا ويح قوم فوّضوا امرنفسهم ... الى ملك عن فعله ليس يسأل

وللشاعر معروف الرصافي قصيدة على هذا النسق ومنها :

حتّام نبقى لعبــة لحكومة ... دامت تجرّعنا نقيــع الحنظل
تنحو بنا طرق البوار تحيّفــاً ... وتسومنا سوء العذاب الأهول
ما بالنا منهـا نخاف القتل إن ... قمنا.. أما سنموت ان لم نقتل؟

وقال في قصيدة اخرى عنوانها (تنبيه النيام) :

عجبت لقوم يخضعون لدولة ... يسوسهم في الموبقات عميدها
وأعجب من ذا انهم يرهبونها ... وأموالها منهم ومنهم جنودها

فلما هوى السلطان عبد الحميد ، وأعلن الدستور ، اهتزت البلاد العربية فرحاً بالثورة التي أطاحت بالعهد البائد ، وقام الشعراء والكتّاب يتغنون بالثورة الظافرة ، والنعيم المنتظر ، وقرّت عيون الناس ، وأمّلوا خيراً ، وأيّ خير بالعهد الجديد .. المسلمون والمسيحيون الذين وحّدتهم المصائب التي نزلت بهم ، وبعث فيهم النشوة اقبال عهد جديد يبشر بسعادة واصلاح وتعمير وعدل وإحسان .

وليس يهمنا من القصائد التي قيلت في هذه المناسبة ، وما تبعها من قصائد بعد سقوط عبد الحميد وقيام سلطان جديد ، إلا ما كان ماساً بنا نحن العرب من قصائد ثورية تؤكد نضالنا ، وتذكر ماضينا ، ومن هذه القصائد قصيدة لمعروف الرصافي جاء فيها :

إنما نحن أمة تدرأ الضيم	ولا تستكين لوالِ
أمة سادت الأنام وطابت	عنصراً من أواخر وأوال
فاذا ما علا الغشوم نهضنا	فقذفناه سافلاً من عال
نحن من شعلة الجحيم خُلقنا	لأولي الجور لا من الصلصال
يا ملوك الأنام هلّا اعتبرتم	بملوك تجور في الأفعال
فاتركوا الناس مطلقين وإلا	عشتم موثقين بالأوجال

ولكن الشعب العربي الذي كان ينتظر الخير بعد الانقلاب العثماني لم يلبث ان فقدَ الأمل من الاصلاح والعدل والانصاف في العهد التركي الجديد ، فعادت الى نفوس الناس نزعات الاستقلال العربي ، خصوصاً بعد ان وجد العرب انفسهم يُحرمون من كثير من حقوقهم في الدولة العثمانية ، وبدأ الشعراء يهيبون بالعرب الى استرجاع أمجادهم السالفة ، وحضارتهم الماضية ، وكان الكاتب او الشاعر المسيحي قبل المسلم في هذه الدعوة ، وقد سبق الشيخ ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ - ١٩٠٦ أقرانه حين قال متحدثاً عن مجد العرب :

وما العرب الكرام سوى نصال   لها في أجفن العليا مقام

لعمرك نحن مصدر كل فضل وعن آثارنا أخـذ الأنام
ونحن أولوا المآثر من قديم وإن جحدت مآثرنا اللئام

وله قصيدة بائية أشدّ وأقوى ، مطلعها :

تنبّهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى السيف حتى غاصت الركب

وقد جاء ذكرها في الفصل السابق ..

وله قصيدة اخرى يقول فيها :

فالترك قوم لا يفو ز لديهم إلا المشاكس
أولستم العرب الكرام ومَن همُ الشمُّ المعـاطس
فاستوقدوا لقتـالهم ناراً تروّع كل قابس

ومن الشعراء الذين أثاروا الروح الوطنية العربيـة بقصائدهم الشيخ نجيب الحداد ، وهو القائل من قصيدة :

آن الأوان لأن أخاطر بالدمِ مَن لم يخـاطر بالدما لم يسلَمِ
أجزيرة العرب التي أحببتهـا كم من أكفٍّ قـد رمتك بأسهُمِ
لعبت أكفُّ الترك فيك فغادروا في كل قطر فيك نهراً من دم
قتلوا رجالك واستذلوا من بقى فبقيت صرعى لليـدين وللفم
فلينقذ الله العـليُّ جنودَه وليحفظ العرب التي لم تأثم

وقال الشاعر الرصافي متألماً متوجّعاً لحالة العرب اليوم وحالتهم بالأمس :

لهفي على العرب أمست من جمودهم حتى الجمادات تشكو وهي في حجرِ
أين الجحاجح ممن ينتمون الى ذؤابة الشرف الوضاح من مضر
قوم هم الشمس كانوا والورى قمر ولا كرامة لولا الشمس والقمر
راحوا وقـد أعقبوا من بعدهم عقباً ناموا على الامر تفويضاً الى القـدر

الثورة التركية :

فلما كانت الثورة التركية سنة ١٩٠٨ ، وذهبت النشوة والآمال والاحلام التي غلبت على العرب بعد الثورة، من الوصول الى الحقوق المهدورة، وشاهدوا السياسة الاتحادية الجديدة، وما تحاوله من تتريك العناصر غير التركية، عمّهم التشاؤم وأدركوا ان العهد الجديد لا يختلف عن القديم إلا اسماً لا عملاً، وكانوا قد عظم وعيهم ابتداء من اول القرن العشرين ، وبدأوا بتنظيم الجمعيات السياسية كما قدمنا ، وأخذ الشعراء العرب ينادون بالقومية ويدعون الى تعزيزها ، ولا يكون هذا التعزيز إلا بالاستقلال والحرية ..

واشتد الموقف حرجاً لما خرج بعض كتّاب الترك وبعض المسؤولين يعملون للحطّ من العرب ، والحطّ من لغتهم.. ومثل هذا قول يوسف حيدر — من بعلبك — :

إليكم بني العرب أرفع قصتي لأبلغ فيها من لدن قومنا عذرا
لعلي أرى من عزمكم ما يسرُّني ومن جدّكم ما تعظمون به قدرا
عليكم سلام الله ما دام عِرضكم مصوناً لديكم لا يُباع ولا يُشرى

ومن المهاجر الاميركية ارتفعت الصيحة ، وجارى شعراء المهجر شعراء الشرق العربي في الدفاع عن العروبة ، وتعظيم شأنها ، رداً على الدعوة للتركية والتعصب التركي ، وسياسة التفرقة بين العرب والترك في الوظائف والحقوق والواجبات ، فقال رشيد أيوب :

فنحن بنو الأعراب كنا ولم نزل بما خصّنا المولى نفوق الأجانبا

وبعد ان يذكر فضل النبي عليه السلام والصحابة وقواد الفتوح الاولى ، يقول مفاخراً :

ألسنا الالي سادوا العباد ودوّخوا البلاد وأبدوا في الحروب عجائبا
وقصّر عن إدراكهم كلُّ لاحقٍ غداة امتطوا ظهر العلى والمناكبا

فكم دولة سُدنا وشِدنا بهمّةٍ أحدّ من البيض الرقاق مضاربا
كذاك بنينا للعلوم مَعاهداً وشِدنا لأهل الارض فيها مكاتبا
فما روت الايام من عهد آدم الى اليوم عن شعب يفوق الاعاربا
فيا وطني لا زلت اول بقعة من الارض أبدت للبرايا عجائبا
طويت من الآثار ما لو نشرته لضاقت به الدنيا حجى ومواهبا

العرب بعد الحرب العالمية الاولى :

ولما وقعت الحرب العالمية الاولى ، وخاض الترك غمارها ، وساروا في الاقطار العربية التي كانت تحت سلطانهم اسوأ سياسة ، ثم ما كان من اعدام الشهداء في دمشق وبيروت بحجة تعاونهم مع بعض الدول الاجنبية للحصول على استقلال البلاد العربية، وقيام الشريف حسين بثورته واتفاقه مع الانكليز الذي منّوه بالاستقلال العربي ، ثم خذلوه بعد الحرب ، وفرقوا البلاد كما هو معلوم ومعروف ، اشتد الخلاف بين العرب والترك ، ورحبوا بانتصار الحلفاء على الترك إيماناً منهم بالوعد الذي قطعوه لهم بأعطائهم استقلالهم ، فقال رضا الشبيبي من قصيدة يصف هذه الحالة النفسانية وخروج الترك من العراق، فيقول :

يا مـن يعزّ علينا ان نؤنبهم من حيث لا ينفع التأنيب والعذل
جفوتمونا وقلتم نحن ساستكم منى مطيّتها الاخفاق والفشل
قيّضتم لحفاظ الملك طائفـة لغيرها الملك والاجناد والدول
قوم من العرب وخز النحل حظهم وحظ قوم سوانا الاريُ والعسل
عند المغانم تنسونا ويفدحنا من المغارم ثقـل ليس يحتمل
اين الرهين بأموال لنا ذهبت ومن يقيد بإخوان لنـا قتلوا
إما شهيد معلى فوق شاهقة او موثق بحبال الاسر معتقل

كما مضى الشعراء بعـد الحرب يمجدون الشهداء الذين أعدموا ويندّدون

بالترك ومظالمهم ، شارك في هذا النعي والتأبين شعراء الشرق وشعراء المهجر وقد اخترنا من هذا الشعر قصيدة للشاعر فؤاد الخطيب ، قالها بعد الثورة الحجازية ، هذه ابيات منها :

أيه بني العرب الاحرار ان لكم ... فجراً اطلّ على الاكوان مبتسما
من ذلك البيت من تلك البطاح ... على تلك الطريق مشت اجدادكم قُدما
من كل اروع وثّاب اذا انتسبت ... بيض الصوارم كان الصارم الخذما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم ... إن لم يكن سعيكم من سعيهم امما
الى الشآم الى ارض العراق الى ... اقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

ولما ادرك العرب فساد نية الحلفاء ، وقسموا البلاد ، فأخذا كل فريق منهم قسماً ، تبادر الشعراء الى إثارة الشعور القومي فقال الشيخ مصطفى الغلاييني من بيروت :

هبوا فأمتكم امست على خطر ... جارت عليها الاعادي جور منتقم
حتى تسيل ربوع الشام مفعمة ... دماً يسيل الردى في سيله العرم
وذمة العرب والايام شاهدة ... لنضرمنّ الوغى في السهل والعلم
حتى يخلوا بلاد العرب اجمعها ... من ساحل الروم حتى ساحل العجم

وبعد ان تمّ تقسيم البلاد العربية بين دول الحلفاء ، اتّقدت القلوب حميّة ونقمة على الاستعمار ، وأخذ الشعراء يهاجون الاستعمار ويطالبون بالحرية والاستقلال .. في كل قطر عربي، حتى تمّ للبلاد العربية الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية . وفي الفصول التي تلي سيجد القارىء مختارات من شعر الثورة في كل بلد عربي .

- ٤ -

ابو القاسم الشابي

حياته وتاريخه وشعره

قصة شاعر :

هـذه قصة ثلاثة من الشعراء الثوار الشباب الذين غادروا الدنيـا في فجر الشباب وعز الفتوة ، فتساقطوا واحداً بعد الآخر ، ولما يبلغوا من الحياة ما يريدون ، ولا من الشعر ما يشتهون ، ولا شاهدوا الغرسة التي زرعوها تنمو وتترعرع حتى تصبح عملاقاً يسدُّ الأفق ، ويبدّل لوحة الشمس ، ويهزّ دنيـا العرب كما لم يهزّها أحد قبل فجر الاسلام وتبسط العرب في الارض .

فهذا (الشابي) الشاعر التونسي المجدد الثـائر الناقم على الحيـاة وهوان العرب ، يذهب لمآبـه في السادسة والعشرين ، وهـذا (المعلوف) يمضي الى الآخرة في الثلاثين ، وهـذا (ابراهيم طوقان) يطرق أبواب الرضوان في الاربعين ، بعد ان هدّه المرض وتوالت عليه الصروف والاسقام .

و (الشابي) الشاعر التونسي الذي كانت حيـاته عبارة عن مأساة مثيرة رائعة مفجعة ، كان يخطر في فجر الشباب لما أخـذ ينشد أشعاره ، متوجّعاً على المجد العربي الغابر ، مهيباً بالعرب لصيانة هـذا المجد ورفع رايته ، داعياً الى العمل والحرب لإنقاذ البلاد العربية من الاستعمار الذي كانت ترزح تحته .

وكان شمالي افريقيـا في عهده وقبل وفـاته لا يزال في قبضة الفرنسيين ، بينما كانت الأقطار العربية الاخرى موزّعة بين الانكليز والفرنسيين استعماراً ونفوذاً يخفّ تارة ويهون اخرى حسب تقـدُّم البلد وهوانه ، او ضعفه وضراوته .

ومـا نعرفه من شعر (الشابي) كما يقول بعض مَن أرّخوا له [1] ليس أجود شعره ، ولا هو كله ، ولكن هذا الشعر القليل الذي عرفـه الناس وتداولوه بينهم ، قـد اثار اهتمامهم وهزّهم ، فأعجبوا به اعجاباً شديداً ، خصوصاً لما علموا انهم أمام شاعر عربي خالص في ثقافته ولغته ، لم يعرف في حياته لغة اجنبية ، ولا اطلع من آثار الغرب إلا على بعض مـا ترجم الى العربية ، وعلى ما وصلت اليه يده منها في هذه الفترة القصيرة من حياته.

ومن الذين أعجبوا من شعراء الغرب بالشابي شاعر ايطالي يدعى (فويدو ميدينه) عاش في تونس فترة من حياته ، وتحدّث عن زملائـه الشعراء في كتابه (افريقية) .

فقال عن (الشابي) وعن (سكاليزي) وهو شاعر بائس ولد في تونس ، من أب صقلي وأم مالطية ، وعاش فقيراً جائعاً، ومات في الثلاثين من عمره ، بداء الصدر والجنون ، وقد نشرت أشعاره في بعض المجـلات التونسية ، وجُمعت بعد ذلـك في كتاب (الشمال الافريقي والفرنسيين) ولم تتجاوز قصائده الخمسة والثلاثين صفحة ، ومع هذا ، فقد ذاعت شهرته بين قومه ، فقدّموه وأجلّوه ، وعرفوا قدره بعد وفاته ، كما هي العادة المتبعة في تقدير النابغين بعد الموت .

قال الشاعر الايطالي متحدثاً عن الشاعرين(الشابي)العربي..و(سكاليزي) الصقلي المالطى :

« باسميكما يزداد كتابي هـذا ثروة ، ولولاكما لكان أصفر اللون حقيراً ، واليكما أهدي هذه الصفحة ، لأنكما كنتما وحدكما مطربي هذا الوطن » .

« فإذا ما تحرّك النخيل وداعبته الرياح،فأنا لا أفكـّر إلا فيك يا شابي».

« وكلما مررت في شارع المالطيين في تونس ، فأنت يا (سكاليزي)الذي تمرّ امامي » .

---

(١) ابو القاسم محمد كرو في كتابه (الشابي — حياته وشعره) .

« لقد ملأتما أطراف هذا البلد بلغتكما الموجعة ، وانتشيتما بجمال المآذن والمساجد .. وشوارع تونس الملتوية ، ولكن تغاريدكما كانت دائماً يا اخوتي حزينة يائسة .

« شأن أغانيكما .. شأن البلابل التي تختفي في الظلمات لا لعزوفها عنها ، ولا لأنها تخشى النور ، ولكن لأن الشمس التي تجلب السرور والخير توجعها ، وأنتما لم تستطيعا ولم تقدرا ابداً على قبول هذا السرور وهذا الخير .

لقد بحث كلاكما عن الوحي والإلهام في المظاهر السمجة الغريبة غالباً .

أنت يا شابي كان قلبك يتألم ويتفطّر عند رؤية الطبيعة الثائرة ، والبحر المتلاطم الأمواج .

وأنت يا سكاليزي كنت تجد راحتك في المخلوق الانساني الثائر .

لم يجد السرور ولا الابتسامة سبيلاً الى أشعاركما .

لقد اتحد روحكما وقلبكما وتفكيركما في ما ينزف بالدم والدموع .

لقد قضيتما في مستهل الحيـــاة ، وتحملتما في أثنائها استزقاقاً لا يعرف الرحمة ، ثم ذاب عذابكما وغاب شقاؤكما مع أسرار الشرق .. »

الحضارة في تونس :

لقد شاركت تونس في الحضارة العربية ، بل لقد كانت قبل نزول العرب عليها موطناً للحضارة القرطاجية التي نازعت (رومية) السلطان وحاولت القضاء عليها ، لما زحف هانيبال قائدها على رومية ، متخطياً جبال الألب قبل ان يتخطاها قائد آخر في التاريخ .. ثم تمكنت منها (رومية) فمحتها محواً وسحقتها سحقاً ، حتى جاء العرب فحملوا الى تونس وشمـالي افريقية الاسلام والعربية ، والحضارة العربية ، فمضت تونس تشارك في هذه الحضارة وعادت اليها الحياة ، وقامت فيهـــا مدينة (القيروان) ، وانتظمت فيها العمارة ، وامتدّ اليها العمران ، ونبغ فيها العلماء والفقهاء والبلغاء .. وأهمهم ابن خلدون ، وابن منظور صاحب (لسان العرب) ، وابن شرف صاحب

(زهر الآداب) ثم توالى عليها ما توالى على البلاد العربية الاخرى من تمزّق واختلاف ، فخمدت شعلة العلم فيها ، حتى كان القرن التاسع عشر وظهور المصلح التونسي الوزير خير الدين باشا ، الذي أقام المعاهد في عهده ، وأصلح التعليم في الجامعة الزيتونيه ، وهي جامعة دينية كالأزهر في القاهرة ، وإن كانت اقل منه شهرة ونفوذاً .

ثم نكبت البلاد سنة ١٨٨١ بالاستعمار الفرنسي الذي افسد على اهلها كل اسباب الحياة ، وحاول قتل الروح الوطنية في شبابها ، وجعل البلاد مزرعة للفرنسيين ، الى ان تمكنت تونس اخيراً ، ومنذ سنوات قليلة من الحصول على استقلالها ، ومضت تصلح ما افسده الاستعمار في ارضها ، وما اضعفه من روحها ، لتأخذ مكانها المرموق بين مجموعة الدول العربية الحرة المتحررة .

ومن الحق ان نقول ان شباب تونس قد صمدوا لعوادي الاستعمار ومحاولته افساد لغتهم ودينهم وتجارتهم ومصالحهم فأسسوا المعاهد العلمية والمدارس الوطنية الحرة ، والنوادي والجمعيات المختلفة ، وجاهدوا لتحرير وطنهم .

ابو القاسم الشابي احد هؤلاء الشباب ، حمل لواءهم ، وغرّد بنضالهم ، وكان شعره حافزاً ومعبراً عن طموح شباب تونس الوثاب ، وحقهم في الحرية والاستقلال ، كما كان وصفاً رائعاً مؤثراً لهذه البيئة الراكدة وما يعتورها من القلق والخوف والجمود ، وما تصبوا اليه في الوقت نفسه من حياة حرة ، واستقلال تام رغم الاستعمار ، ورغم محاولاته اليائسة لإبقاء البلاد في قبضته وقبضة الرجعيين من اعوانه .

الحياة القصيرة :

وحياة (الشابي) حياة قصيرة مليئة بالشقاء والألم .. عامرة بالأحزان والاتراح ، طافحة بالحرمان والتعاسة ، مغمورة بالكآبة والأسى .

ولد في سنة ١٩٠٩ م ببلدة (الشابية) احدى ضواحي مدينة (توزر) كبرى بلاد الجريد بالجنوب التونسي، وهي بلاد جميلة فاتنة ، عامرة بالبساتين والعيون وأعواد النخيل ، وقد ارهفت هـذه الارض المخضوضرة شاعرية (الشابي) فتغنى بها ووصفها ، لما استوى شاباً فشاعراً .

ولقـد تعلم (الشابي) كسواه من ابناء جيله في الكتاتيب ، حيث درس القرآن ، وعلمه والده وكان قاضياً ، اصول العربية ومبادىء العلوم ، فأحسن تعليمه .. ولما كان الصغير من هواة المطالعة فقد قرأ وهو مـا يزال صغيراً بعض الكتب الدينية والصوفية والفقهية والفلسفية القديمـة في مكتبة والده الشيخ ، متنقلاً مع والده من بلدة الى اخرى حين ينقل القاضي الى بلدة ثانية لتوالي رئاسة المحكمة الشرعية فيها .

فلمـا كانت سنة ١٩٢١ ارسله والده وهو في الثانية عشرة من عمره الى العاصمة التونسية ليدرس بالكلية الزيتونية ، وظلّ فيها حتى نال شهادتها ، حتى سنة ١٩٢٧ ، وفي هذه المدرسة نهل (الشابي) من مختلف ينابيع المعرفة فقرأ ألواناً من الكتب العربية القديمة، كالأغاني ونفح الطيب والكامل للمبرد، و « الامالي) لابي علي القالي و (العمدة) لابن رشيق .. والمثل السائر لابن الأثير ، كما اطلع على شعر المهجر العربي، وبعض الكتب الاجنبية التي ترجمت الى العربية ، ومئات المقالات التي كانت تنشر في صحف الهـلال والمقتطف والسياسة الاسبوعية وغيرها .

وبعـد تخرجه من (الزيتونة) التحق بكلية الحقوق فنال شهادتها سنة ١٩٣٠ ، ونشط في هـذه الفترة نشاطاً عجيباً ، فخاض معارك الشباب التي كانت تدعو لاصلاح مناهج التعليم والادارة ، في الكلية ، وتزعّم اضرابهم . وساعد في تأسيس جمعية (الشبان المسلمين) و (النادي الادبي) بتونس ، ونادي الطلاب في مدينة (توزر) .

فاجعة الشباب :

فلما مات والده سنة ١٩٢٩ ، اصيب بصدمة عنيفة مـــلأت قصائده ، وأحسّ لأول مرة بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بعد ان كان خالياً منها ، فقد كان ابوه في حياته يقدمّ له كل حاجاته ، ويعول اسرته ، فلمـــا توفي اصبح (الشابي) مسؤولاً عن هـــذه الاسرة .. فضاق صدره ، وأوجس شراً من هـذه المتاعب الجديدة التي لم يكن يتوقعها ، بعد ان ظن ان حياته الشعرية الحالمة ، سوف تستمر الى مـــا شاء الله ، فإذا بهذا التحول في حياته ، يجزّه ويتحول الى يأس وألم جارف ، انتهى به الى تضخم في القلب نصحه الطبيب على اثره بالكف عن القراءة والكتابة ، وإن لا يرهق نفسه ، وأن يعيش في المناطق الجبلية وفي احضان الطبيعة وبين الغابات والوديان والانهار .

وعاش الشاعر سنوات ثلاث على هذا النحو .. وفي هذه الفترة اخرج لنا اروع قصائده وأجمل اشعاره .

واشتد به الداء لما راح يرهق نفسه بما نهاه الطبيب عنه ، وثار على الحياة لـــا احسّ بضعفه وانهيار صحته ، فإذا بـــه يطلب الموت ابريحه من حياته ، وطلع علينا بهـذه القصائد الحزنة الباكية ، وهو هو نفسه الشاعر الذي طلع علينا بالقصائد الثائرة، ذات القوة الجارفة، الداعية للثورة والتحرر والحرب.

وأخـــيراً قضى نحبه في فجر الثلاثاء التاسع من تشرين الاول سنة ١٩٣٤ ونقل جثمانه الى (الشابية) حيث دفن فيها ، ثم قام اصدقاؤه وبعد سنوات من وفاتـــه ١٧ / ٥ / ١٩٤٦ ببناء ضريح له يشكل قبلة لطلاب الثورة ، وشعراء القدر ، الذين يهزون الشعوب بقصائدهم ، ثم لا يطيقون صبراً امـام عقبات الدهر ، وعاديات الزمان .

ولقـــد كان الشاعر بالتأكيد من هؤلاء الخواص من البشر الذين يضيقون ذرعـاً بالبيئة الفاسدة المتهدمة المريضة التي كان يعيش فيها ، أبان الاستعمار

الفرنسي ، واستسلام اهلها الى هذه الحياة الخانعة ، فإذا رام ثورة ، او راح يحضّ على الثورة ، وجد الاستعمار في طريقه ، عاملاً على امتصاص الحياة من نفوس الشعب التونسي ، مستغلاً ثروته ، واضعاً خونته في المناصب والمراكز مولياً ظهره لكل مخلص امين ، بل انه كان في اكثر الحالات يحارب هؤلاء المخلصين في حياتهم وعيشهم ، ليظلوا فقراء ، وليظل الشعب كـله فقيراً معتمداً في كل ضروريات حياته على ما يجود عليه به المستعمر من بقايا الطعام.

ومع الاستعمار قـام جيش من الرجعيين يفسدون على الشعب امره ، ويعملون لاختلافه ، ويمزقون وحدته .. لا تقوم حركة قومية إلا ناهضوها، ولا يرتفع صوت شريف إلا اخمدوه ، ليظل الشعب تعساً شقياً فقيراً لا هو حي فيرجى ، ولا هو ميت فيدفن ، وإنما هو بين بين .

في هذا الجو الفاسد ، عاش الشابي .. ولم يكن يملك القوة والرجـال ليبدّل قوماً بقوم وحياة بحياة .

لم يكن يملك غير قصائده ، فغنّاهـا ثائراً ، يحارب عبادة الأوثان ، والطغيان ، والظلم والخنوع ، ويدعو الى العزّة والكرامة ، والأخذ بأسباب الحياة للوصول الى هذه الغايات .

أثارهم فلم يثوروا ..

دعاهم الى الأمجاد فلم يتحرّكوا .

صرخ بهم ليقفوا في وجه الظلم والظالمين فلم يفعلوا .

فاستشعر انه غريب بين قومه ، مجهول عندهم ، فثار وغضب ، وأرعد وأزبد ، وقال يخاطبهم في قصيدته (النبي المجهول) :

ايها الشعب ليتني كنت حطّابا	فأهوي على الجـذوع بفأس
ليتني كنت كالسيول اذا س	الت ، تهدّ القبور رمساً برمس
ليتـني كنت كالرياح فأطوي	كل مـا يخنق الزهور بنحس

ليت لي قوّة الأعاصير لكن	انت حي يقضي الحياة برمس
انت لا تدرك الحقائق ان	طافت حواليك دون مسّ وجسّ
في صباح الحياة ضمّخت أكوابي	واترعتهـــا بخمـــرة نفس
ثم قدّمتهـــا اليك فأهرقت	رحيقي ودست يا شعب كأسي
فتألمت ثم أسكتُّ آلامـــي	وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضّدت من أزاهـير قلبي	باقـــة لم يمسّها أي انس
ثم قدّمتهـــا اليك فمزقت	ورودي ودستهـــا أيّ دوس
ثم ألبستني من الحزن ثوبـاً	وبشوك الصخور توّجت رأسي

كذلك وصف الشاعر نفسه امام قومه وبينهم .

كان يصيح فلا يسمعونه .

وينادي فلا يجيبونه .

ويقدم لهم الكوب من ماء الحياة فيلقونه ارضاً .

ويبدو انه لم يفطن الى ان صيحاته هذه لا بد ان تأتي ثمراتها بعد وقت من الزمن .

فالشعب الذي صهره الظلم طوال هذه الماضيات من الاعوام لا بدّ ان يتحرّك .. وإن طال الانتظار .

كان يريدهم ان يتحرّكوا ويثوروا ما سمعوا نداءه .

ولما شاهد جحودهم ضاق صدره بهم ، وضاق بنفسه ، فإذا هو قانط من اصلاحهم ، يائس من ثورتهم ، فيعتزلهم ويتركهم لمصيرهم ، ويختـــار الحياة بعيداً عنهم .

ليت لي ان اعيش في هذه الدنـ	ـيا بعيداً بوحدتي وانفرادي
اصرف العمر في الجبال والغابات	بين الصنوبر الميـــاد
عيشة للجمال والفن ابغيهـــا	بعيـداً عن امتي وبلادي
لا اعنّي نفسي بأحزان شعبي	فهو يحيـا في ظلمة الآباد .

الشعر عند الشابي :

تأثر الشابي اول ما تأثر ، وعندما بدأ يقرأ ويتفهم ما يقرأ بشعر العرب المهاجرين ، وما فيه من احلام وآمال ، وتيه في عـالم الوجود ، وحنين الى الوطن، وتبرّم بالظلم الذي نزل به .. ثم تأثر بما قرأه من آثار الغرب المترجمة ومن الكتب العربية القديمـة ، ومن مؤلفات الكتاب العرب المعاصرين كطه حسين وأمثاله ، كل هذه أنارت طريقه، وبصّرته باسلوبه، فغدا شعره نشيداً حزيناً في بعض الاحيان ، مارداً يضرب في الارض ذات اليمين وذات الشمال ليهز الناس حوله ، ويثير الرقاد من نومهم ، في احيان اخرى .. كما انتظم له في الشعر اسلوب رائع لين طري، شديد قاس مرعد مبرق مزبد اذا ما كتب في الوطنيات ، واستبدت فيه مشاعر الاستقلال والحرية .

يحسن تصوير الطبيعة التي احتوتـه وحنت عليه .. ويسمو في الشكوى من الحياة ومتاعبها ، ومن الضعفاء والنيام ، ويعلوا كما يشاء له الخيال ان يعلو في تمجيد الثورة والضرب على اوتار الوطنية الخلاقة المبدعة المدمرة لكل مـا حولهـا من الاصنام والاشباح والمستغلين والمستثمرين .. حتى اذا وجد ان شعره لم يهزّهم ولم يحرّكهم، عـــاد على اعقابه بائساً حزيناً يائساً من الدنيا ، وأبناء الدنيا يتفصد لسانه عن حاله فيقول :

وإن اردت قضاء العيش في دعة	شعرية ، لا يغشى صفوها ندم
فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم	وما بنوا من نظام الحكم او رسموا
واجعل حياتك دوماً مزهراً نضراً	في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك احلاماً مغردة	ان الحياة وما تدوي بها عدم

وأما إذا ارعد وأزبد وثار وهاج فإنه يقول في قصيدته الخالدة :

إذا الشعب يومـاً أراد الحياة	فـلا بـد ان يستجيب القدر

وإذا اثارته مظالم الظالمين صاح في قصيدته الى طغاة العالم :

سيجرفك السيل سيل الدماء	ويأكلـك العاصف المشتعل

ولا بد ان (الشابي) كان في شعره اقرب الى شفيق المعلوف في محاولة اكتشاف المجهول والوصول الى اسرار الطبيعة ، بعد ان ضاق صدراً بالحياة كما قدمنا ، وسكان هذه الحياة .

الى اين تمضي به الحياة ؟

وما غاية الانسان ؟ ومن اين يأتي ؟ والى اين يذهب ؟

وأي عالم هذا الذي يسمونه الموت ؟

ولم يعيش الانسان بعد ان يولد ، لينتظره الفناء بعد ذلك ؟

وما الذي خلف الحياة وما وراء الموت ؟

نحن نمشي وحولنا هاته الأكـ وان تمشي ولكن لأية غاية ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمـ س وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للمو ت ولكن ماذا ختام الروايه ؟
هكذا قلت للرياح فقالت : سل ضمير الوجود.. كيف البدايه؟

* * *

وتغشّى الضباب نفسي فصاحت في ملال مرّ الى أين أمشي ؟
قلت سيري مع الحياة فقالت : ما جنينا ترى من السير أمس ؟
فتهافتُ كالهشيم على الار ض وناديت : اين يا قلب رفشي ؟
هاته علي أخط ضريحي في سكون الدجى وادفن نفسي .

* * *

جفّ سحر الحياة يا قلبي البـا كي فهيا نجرّب الموت هيا

واذاً منحن امام شاعر حساس ، شديد الحساسية ، لا يكاد يطيق مقارعة الحياة وأحداث الزمن ، ضيق الصدر منها ومن متاعبها، متألماً حزيناً لما نزل بوطنه من نكر وعبودية واستعباد ، فثارت ثائرته وأرسل شعره ، مرعداً محرقاً فلم يتحرّك احد من بني قومه لندائه ، فانكفأ حزيناً يائساً ، يتلمس الموت لينجو من هذه الحياة التي لا يطيقها .

واذا أضفنا الى هذا ، ان الشاعر تزوّج وهو ما يزال شاباً صغيراً ، ولم يوفّق في زواجه كما يبدو ، أدركنا سر هذه السعادة التي كان ينشدها فلا يصل اليها ، وآثار هذا الأسى الظاهر في شعره وقصيده .

ويقول بعض من أرّخوا له انه أحبّ ، وماتت حبيبته ، فانفطر وجدانه لموتها ، وجادت قريحته بهذه القصائد التي يضمّها ديوانه ، وفيها تمجيد لها ، ووصف رائع لفراقها وفقدها ، ولكن هناك من ينكر حبه هذا ، ويردّ هذا الوصف الى المرأة المثلى لا الى امرأة بعينها .

وللشاعر مؤلفات غير ديوانه طبع منها كتاب (الخيال الشعري عند العرب) فقط ، وبعض الكتب والرسائل واليوميات التي لم تنشر كما اعلم حتى اليوم .

ولو طال بالشابي العمر ، وشاهد بلاده مستقلة ، تنعم بحرياتها وبحيوية شبابها ، لأدرك ان قصائده لم تذهب صيحة في واد ، وأنها نزلت في القلب عند شباب العربية من مشرق الارض الى مغربها .

زئير العاصفة

اری المجد معصوب الجبين مجدلاً ... على حسك الآلام يغمره الدمُ
وقد كان وضّاح الاسارير باسماً ... يخف الى الجُلى ولا يتبرم
ألا أيها الظلم المصعّر خده ... رويدك ان الدهر يبني ويهدم
اغرّك ان الشعب مغض على قذى ... لك الويل من يوم به الشر قشعم
سيثأر للعز المحطم تاجه ... رجال، إذا جاش الردى فهمُ همُ
رجال يرون الذلّ عاراً وسُبّة ... ولا يرهبون الموت والموت مقدم
وهل تعتلي إلا نفوس ابية ... تصدّع اغلال الهوان وتفصم
إلا ان احلام البلاد دفينة ... تجمجم في اعماقهم ما تجمجم
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها ... وينبثق اليوم الذي يترنم

هو الحق يبقى راكداً، فإذا طغى   بأعماقه السخط العصوف يدمدم
وينحط، كالصخر الأصمّ إذا هوى   على هام اصنام العتو، فيحطم

* * *

إذا صُعق الجبار تحت قيوده   سيعلم اوجاع الحياة ويفهم

الى طغاة العالم

ألا أيها الظالم المستبد   حبيب الفناء عدوّ الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف   وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنّس سحر الوجود   وتبذر شوك الاسى في رباه

* * *

رويدك لا يخدعنّك الربيع   وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الافق الرحب هول الظلام   وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف   فمن يبذر الشوك يجن الجراح

* * *

تأمل هنالك اني حصدت   رؤوس الورى وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب   واشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدما   ويأكلك العاصف المشتعل

ارادة الحياة

اذا الشعب يوماً اراد الحياة   فلا بدّ ان يستجيب القدرْ
ولا بدّ لليل ان ينجلي   ولا بدّ للقيد ان ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة   تبخّر في جوّها واندثر
كذلك قالت لي الكائنات   وحدثني روحها المستتر

* * *

دمدمت الريح بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر
(اذا ما طمحت الى غاية لبست المنى وخلعت الحذر
ولم اتخوّف وعور الشعاب ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر)
فعجّت بقلبي دماء الشباب وضجّت بصدري رياح أخر
وأطرقت اصغي لعزف الرياح وقصف الرعود ، ووقع المطر
وقالت لي الارض لما تساء لت يا أمّ هل تكرهين البشر؟
(أبارك في الناس اهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر
ولولا أمومة قلبي الرؤوم لفرت عن الميت تلك الحفر
فويل لمن تشقه الحيا ة من لعنة العدم المنتصر)

* * *

وشفّ الدجن عن جمال عميق قوي الغواية ، حلو الصور
ومدّ على الكون سحر غريب يصرفه ساحر مقتدر
ورقّ نشيد الحياة المقدّ س في هيكل حالم قد سحر
واعلن في الكون ان الطموح حبيب الحياة وروح الظفر
اذا طمحت للحياة النفوس فلا بدّ ان يستجيب القدر

ابراهيم طوقان

شاعر فلسطين الفدائي الشاب

قالت امه عنه : « لقد بلوت في ابراهيم الحلو والمرّ، ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم، اضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء » .

الشاعر المرح :

نشأ هذا الشاعر لعوباً لا يعرف الهدوء ، ما اخذ بسبب من اسباب اللهو والعبث ، كما ظهرت عليه امارات الذكاء وحسن الأداء ، وحفظ الشعر منذ طفولته ، مقلداً ما يسمعه ، محسناً في التقليد ، مشبعاً في الوقت نفسه فطرة شعرية كانت كامنة في نفسه ، ولما تظهر بوادرها بعد .

تلقّى علومه الاولى في (نابلس) — فلسطين ، وفي (المدرسة الرشادية العربيـة) ، واستمع الى أساتذته يقرأون له شعر شوقي وحافظ ومطران ، وبين هؤلاء الأساتذة من كان جيّاش الوطنية ، يجهر بها ويبثّها في تلاميذه.. ومن هـذه المدرسة انتقل الى مدرسة المطران في القـدس ، حيث تعرّف على المرحوم نخله زريق مدرّس اللغة العربية في الكلية الانكليزية، بواسطة شقيقه. وكان هـذا متعصباً للعربية ، فتح عيون تلامذته وطلابه على كنوز الشعر العربي ، وحبّبها اليهم . وكان ابراهيم وهو في مدرسة المطران ، يأخذ من شقيقه احمد ، وكان طالباً في الكلية الانكليزية ، منتخبات الشعر القـديم والحديث، مما يختاره الاستاذ زريق لطلابه فيستظهرها ، وعن طريقه تعرّف بذلك الاستاذ ، وأخـذ يزوره هو وشقيقه في بيتـه ، مستمعاً الى حديثه في الادب والشعر وآداب العرب .

فلما ذهب الى الجامعة الاميركية في بيروت ، كان قد بدأ يحاول الشعر فلا يوّفق فيه ، إذ لم يكن قـد درس قواعده وعروضه ، فلمـا درسها على

شقيقه ، بدأ ينظم الشعر متردداً ، يفلح آناً ويعثر اخرى .

ولكن محفوظاته من الشعر الجيد وقراءة القرآن ، ما لبثتا ان مهّدتا له سبيل الشعر ، فاستقام له ، ما يريده منه ، على قدر .

فلما استقرّ في الجامعة الاميركية بعد انتهائه من التحصيل في مدرسة المطران سنة ١٩٢٣ ، بدأت أخصب ايام حياته الادبية .. واستقام نتاجه الادبي والشعري . ولما تولاه المرض سنة ١٩٢٤ ، وعاد الى نابلس ، نظم قصيدة في الممرضات ملائكة الرحمة ، تعتبر من عيون شعره ، أثارت الاهتمام به ، ونشرت اسمه في البلاد العربية .

وأخيراً نال شهادته من الجامعة سنة ١٩٢٩ ، ولكن بعد ان مرض اكثر من مرة ، وبعد ان قال الكثير من الشعر فيها ، ولكن شيئاً من شعره لم يبلغ مبلغ قصيدته في ملائكة الرحمة ، ولا في شعره الوطني عن الشهداء والفدائيين ، الذي ارسله بدوي بعد ذلك في ارض العرب .

الشاعر العامل :

زاول الصحافة بعد تخرجه .. ثم عاد الى المدرسة استاذاً بعد ان كان يضيق صدره بالتعليم والمدارس .. وفي خلال ذلك .. كان يقول الشعر في المناسبات الوطنية والاجتماعية وهو في اثناء هذا كان يمرض ، ويشفى ، لا يتركه المرض حتى يعاوده مرة اخرى ، حتى كانت سنة ١٩٣٦ ، فوقع الاختيار عليه ليكون مراقباً للقسم العربي في الاذاعة الفلسطينية ، حيث ظل في وظيفته هذه اربع سنوات .

وفي هذه الاثناء تزوج ابراهيم وأنجب من زوجته .

كما اقبل على عمله في الاذاعة بكل قلبه ، لموافقته ذوقه وتمشيه مع ميوله وكان همه ان تكون الاحاديث قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتها ، لا سيما الاحاديث الاخلاقية ، فكان يصل الى هذا الغرض التهذيبي بطريقة لا يشك في نجاحها ، وهي طرق هذه الموضوعات من نواح ثلاث : الآية القرآنية ، الحديث الشريف ، المثل المشهور . ولكل من هذه النواحي

اثرها البعيد في العقليات المختلفة لأهل المدن والقرى على السواء ، لما لها من علاقة ماسة بالحياة الاجتماعية .

وكان لابراهيم في الاذاعة احاديث ادبية كثيرة ، اضف الى ذلك قصصاً وروايات تمثيلية ، كان يصنعها بنفسه ، وأناشيد ، منها ما كان ينظمه لبعض البرامج الخاصة ، كنشيد (اشواق الحجاز) والنشيد الذي وضعه في رثاء المغفور له الملك غازي ، ومنها ما كان ينظمه لاحاديث الاطفال .

ولقد لقي الصعوبات العديدة اثناء عمله، إذ كانت فلسطين خلال السنوات الاربع التي خدم فيها في الاذاعة ، في ظرف دقيق جداً ، ففي السنوات الثلاث الاولى ، كانت الثورة في فلسطين قائمة لا تهدأ ، وفي السنة الرابعة ، كانت الحرب العالمية الاخيرة .

أما الصعوبات التي لقيها في عمله اثناء الثورة ، فتنحصر في ذلك الشغب الذي كان يدور حوله من قبل بعض الجهات اليهودية ، ووقوفها له بالمرصاد في كل ما يذيعه من احاديث ، او ما يذيعه غيره من المحدّثين العرب ، فكانت تلك الجهات اليهودية تخرج كل ما يقال تخريجاً سياسياً وتشكل من القصة ذات اللغة البسيطة ، والوضع المحكم ، شعوباً ودولاً ، وحكومات وانتدابات .. ولم تكن لترى في الاحاديث الاخلاقية، إلا تحريضاً تحت قناع ديني .. وأما الدعاية فقد كانت في رأيها مبثوثة في الموضوعات التاريخية .. زد على ذلك ، قول تلك الجهات اليهودية بأن الاحاديث النبوية ، والامثال المشهورية التي تقدم في الاذاعة ، فيها الخطر كل الخطر .. إذ يطلب فيها من الامهات ان ينشئن اطفالهن بعضلات قوية ، ومنشأ الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية ، إنما يقصد من ورائها المقدرة في المستقبل على المقاومة .

وعن الطريق الاقصر ، فالبرنامج العربي الذي كان يشرف عليه ابراهيم مسخر للتحريض .. كما كانت تقول الصحف اليهودية .

وهكذا كانت توضع في الميزان جلّ احاديث القسم العربي في الاذاعة ، فيناقش ابراهيم فيها ، ويحاسب عليها ، ولكنه كان يعرف كيف يقف امام

ذلك كله .

وانتهت الثورة ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، فكانت الرقابة على الصحف والنشر والاذاعة .

ومن قبل بعض المشرفين عليها يومئذ ، قامت الدعاية السيئة ، وقام التحريض ضد ابراهيم . وتكاثفت جموع الشر على ابراهيم من هنا وهناك ، فأقيل من عمله في اول تشرين الاول سنة ١٩٤٠ .

فقرّر السفر للعراق حيث هيّأ له أصدقاؤه الكثيرون وظيفة استاذ في وزارة المعارف .

ولقد كان للمعاملة السيئة التي لقيها ابراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على بنيته النحيلة، فلم تتحمل كل هذه الآلام النفسية التي كابدها خلال الشهور الماضية ، وهو الرقيق الشعور المرهف الاحساس الى حدّ يكاد يكون مرضاً . فلم يكد يمضي شهران على إقامته في العراق حتى وقع فريسة المرض ، فعاد الى نابلس قبل انتهاء الفصل الدراسي الثاني ، حيث نُقل الى المستشفى الفرنسي في القدس . وبعد ايام قليلة ، وفي مساء الجمعة ، الثاني من شهر ايار سنة ١٩٤١ ، أسند ابراهيم رأسه الى صدر امه ليذهب الى ربه وليستريح عنده وفي رضوانه .

كان لابراهيم – رحمه الله – مصحف صغير ، لا يخلو منه جيبه ، تبرُّكاً به من جهة ، وليكون في متناول يده دائماً من جهة اخرى . فلما توفاه بارئه، كان ذلك المصحف تحت وسادته ، ولا تزال الى اليوم ثنية ثناها في احدى صفحات سورة (التوبة) . وكانت هذه الآيات الشريفة آخر ما تلاه ابراهيم من كتاب الله أثناء مرضه :

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابداً إن الله عنده أجر عظيم » .

الفـــدائي

لا تسل عن سلامته ... روحه فوق راحته [1]
بدّلتــه همومـــه ... كفناً من وسادتــه
يَرقب الساعـة التي ... بعدها هولُ ساعته
شاغلٌ فكر مَن يراه ... بإطراق هامتــه
بين جنبيه خافق ... يتلظّى بغايتـه
من رأى فحمة الدُجى ... أُضرمت من شرارته
حمّلتــه جهنمٌ ... طرَفاً من رسالتـه
صامت لو تكلمـا ... لفَظَ النار والدّما
قـل لمن عاب صمته ... ُخلِق الحزمُ أبكما
وأخو الحـزم لم تزل ... يـده تسبق الفما
لا تلوموه ، قد رأى ... منهج الحقّ مظلمـا
وبلاداً أحبهـــا ... ركنهـا قد تهدّمـا
وخصومـاً ببغْيِهم ... ضجّت الارض والسما
مرّ حينٌ ، فكاد يقتله اليأسُ ، إنمـا ..

* * *

هو بالبـاب واقفُ ... والرّدى منه خائفُ
فاهدئي يا عواصف ... خجلاً من جراءته

(١) عينت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطانياً الجنسية لوظيفة النائب العـام في فلسطين ، فأمعن في النكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان (يطبخها) . ولما ثقلت على العرب وطأته ، كمن له أحد الشبان المتحمسين في مدخل دار الحكومة في القدس وأطلق النار عليه فجرحه .

الفدائيات ملائكة الرحمة

بيضُ الحمائم حسبهنّه أني أردّد سجعهنّه
رمزُ السلامة والوداعة منذ بدء الخلق هنّه
في كل روض فوق دانيةِ القطوف لهنّ أنّه
ويملنَ والأغصانَ ما خطرَ النسيم بروضهنه
فإذا صلاهنّ الهجيرُ هبطنَ نحو غديرهنّه
يهبطنَ بعد الحوْم مثلَ الوحي ، لا تدري بهنّه
فإذا وقعن على الغدير ترتبت أسرابهنّه
صفّين طول الضفّتين تمرُّجاً بوقوفهنّه
كلٌّ تقبّل رسمَها في الماء ساعة شُربهنّه
يطفئنَ حرّ جسومهنّ بغمسهنّ صدورهنه
يقعُ الرّشاش اذا انتفضن لآلئاً لرؤوسهنه
ويطرن بعد الابتراد الى الغصون مهودهنّه
تنبيك أجنحة تصفّق كيف كان سرورهنه
ويُقرُّ عينكَ عبثهنّ ، اذا جثمن ، بريشهنه
وتخالهن بلا رؤوس حين يُقبلُ ليلهنه
أخفينها تحت الجناح ونمن ملء جفونهنه
كم هجنني ورويت عنهنّ الهديلَ ، فديتهنه

* * *

المحسناتُ الى المريض غدون أشباهاً لهنّه
الروض كالمستشفيات ، دواؤها إيناسهنه
ما الكهرباء وطبّها بأجلّ من نظراتهنه
يشفي العليل عناؤهنّ وعطفهن ولطفهنّه

مرٌّ الدواء بفيك حلوٌ من عذوبة نطقهنه
مهلاً ، فعندي فارق بين الحمام وبينهنه
فلربما انقطع الحمائم في الدُّجى عن شدوهنه
أمّا جميل المحسنات ففي النهار وفي الدجنّه

الشهيد

عبس الخطبُ فابتسمْ وطغى الهولُ فاقتحمْ
رابط الجأش والنُّهى ثابت القلب والقدم
لم يبالِ الأذى ولم يثنِهِ طارىء الألم
نفسه طوْعُ همّةٍ وجمَتْ دونها الهمم
تلتقي في مزاجها بالأعاصير والحُمم
تجمع الهائج الخِضَمّ الى الراسخ الأشم
وهْيَ من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم
ومن الحقّ جذوة لفحُها حرّر الأمم

* * *

سار في منهج العلى يطرق الخلدَ منزلا
لا يبالي ، مكبّلا ناله أم مُجدّلا
فهو رهْنٌ بما عزمْ

* * *

ربما غاله الرّدى وهو بالسجنِ مُرتهنْ
لم يُشيّعْ بدمعةٍ من حبيبٍ ولا سكَن
ربما أدرج الترابَ سليباً من الكفن
لستَ تدري بطاحُها غيّبتْه أم القُنن
لا تقلْ أين جسمه واسمه في فم الزمن
انه كوكب الهدى لاح في غيهبِ المحن

أرسل النور في العيون ، فما تعرف الوسن
ورمى النار في القلوب ، فما تعرف الضَّغَن

* * *

أيُّ وجهٍ تهلّلا يَرِدُ الموتَ مُقبِلا
صعّد الروح مُرسلا لحنَه يُنشد الملا
أنا لله والوطن

تفاؤل وأمل[1]

كفكِفْ دموعَكَ ، ليس ينفعُكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ ، فما شكا إلّا الكسول
واسلكْ بهمّتِكَ السبيلَ ، ولا تقلْ كيف السَّبيل
ما ضلّ ذو أملٍ سعى يوماً وحكمتُه الدّليل
كلّا ، ولا خاب امرؤٌ يوماً ومقصدُه نبيل

* * *

أفنيتَ يا مسكينُ عمرَك بالتأوّهِ والحزنْ
وقعدتَ مكتوفَ اليدْين تقولُ : حاربني الزمن
ما لمْ تقمْ بالعبءِ أنتَ ، فمَنْ يقوم به اذن ؟

* * *

كم قلتَ : (امراض البلاد) ؛ وأنتَ من امراضها
والشؤمُ عِلّتها : فهلْ فتّشتَ عن اعراضها
يا مَنْ حملتَ الفأسَ تهدمها على انقاضِها

---

(١) القيت في الحفلة التي اقامتها كلية النجاح الوطنية في نابلس في نهاية العام الدراسي ١٩٢٨ وكانت الروح الوطنية قد دخل عليها الكثير من الوهن والتشاؤم ، كما راج في اثناء ذلك سوق الدجالين من محترفي الوطنية الزائفة .

أقعدْ فما أنتَ الذي يسعى الى إنهاضهـــا
وانظرْ بعينيك الذئـابَ تَعُبُ في احواضها

* * *

وطنٌ يُباع ويُشترى وتصيحُ : (فليحيى الوطن)؟!
لو كنتَ تبغي خيره لبذلتَ من دمك الثمن
ولقمتَ تضمِدُ جرحه لو كنتَ من أهلِ الفطن

* * *

لا تحفِلوا بالمرجفـــين ، فإنَّ مَطلبهم حقير
حُبُّ الظهور على ظهور الناس منشأه الغرور
ما لم يكن فضلٌ يزينـك فالظهور هو الفجور
سيروا بعين الله ؛ أنتم ذلـــك الأمل الكبير
سيروا فقد صَفَت الصدور ؛ تباركت تلك الصدور

* * *

حيِّ الشباب وقـُل سلامـــاً إنـكم أملُ الغـَدِ
صَحَّت عزائمـكم على دفـعِ الأثيم المعتدي
والله مَدَّ لـكم يـــداً تعلو على أقوى يـــد
وطني أزفُّ لك الشباب كأنــــه الزهرُ الندي
لا بدَّ من ثمر لـــه يوماً وإن لم يَعقدِ

الى بائعي البلاد ..

باعوا البـلادَ الى أعدائهم طمعاً بالمال لكنما أوطانهم باعوا ...
قد يُعذَرون لو ان الجوع أرغمهم والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
وبُلغةُ العار عنـد الجوع تلفِظها نفسٌ لهـا عن قبول العار ردّاع
تلك البلاد اذا قلت : اسمها (وطن) لا يفهمون ، ودون الفَهْم أطماع

* * *

أعداؤنا ، منذ ان كانوا ، (صيارفة) — ونحن، منذ هبطنا الارض، (زرّاع)
لم تمكسوا آية الخلاق ، بل رجعت — الى اليهود بكم قربى وأطباع
يا بائع الارض لم تحفِلْ بعاقبةٍ — ولا تعلّمتَ أن الخصم خدّاع
لقد جنيت على الأحفاد ، والهفي — وهم عبيد ، وخدّام ، وأتباع !
وغرّك الذهب اللمّاع تحرزه — إن السّراب كما تدريه لمّاع
فكّرْ بموتك في أرضٍ نشأتَ بها — واترك لقبرك أرضاً طولها باع

اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم

حبّذا لو يصومُ منّا زعيم — مثل (غندي) عسى يفيد صيامه
لا يَصُم عن طعامه ... في فلسطين — يموت الزعيمُ لولا طعامُه ..
ليصم عن مبيعه الارض يَحفظ — بقعةً تستريح فيها عظامه
بارك الله في حريص على الارض — غيور يُنهى اليها اهتمامه
هم حماة البلاد من كل سوء — وهمْ مَعقلُ الحمى ودعامُه
نهجوا منهج القويّ وصفّوا — لجهاد منصورة أعلامه

* * *

إنما عدّة الضعيف (احتجاج) — لم يجاوز حدّ السطور احتدامه
كل يوم حزبٌ وحلم فحدّث — عن ضعيف سلاحه أحلامه
مغرمٌ بالبلاد صبٌّ ، ولكن — بسوى القول لا يفيض غرامه
بَطلٌ إن علا المنابرَ ، كرّارٌ ، — سريع عند الفعال انهزامه !!
آزروا القائمين بالعمل الصالح — إن الأبيّ هذا مقامه [1]
آزروهم بالمال فالارض (صندوق) — لمالكم ، بل قِوامه
اشتروا الارض تشتريكم من الضيم — وآتٍ مسوّدةٌ أيامه ...

---

(١) الاشارة الى الذين قاموا بمشروع (صندوق الأمة) وكانت غايته انقاذ الأراضي في فلسطين .

يا رجال البلاد

لا تبالي بألفِ خطبٍ عراها نفسُ حُرٍّ مفجوعةٌ بحماها

شفّها الغيظُ والأسى وتراها كظمتْ غيظها، وأخفتْ أساها

كلما اوشكتْ تسيلُ دموعي ملكَ اليأسُ غربَها فثناها

لا تلمني، فكم رأيتُ دموعاً كاذباتٍ ضحكتْ ممنْ بكاها

قد سقى الأرض بائعوها بكاءً امتنتهم سهولهـا ورباهـا

وطني مبتلىً بعُصبةٍ (دلّالين) لا يتقون فيـه الله

في ثيابٍ تُريكَ عِزاً ولكنْ حشوها الذلُّ والرّياءُ سداها

ووجوهٍ صفيقةٍ ليس تندى بجلـودٍ مدبوغةٍ تغشاها

وصدورٍ كأنهنّ قبـورٌ مظلماتٌ قلوبهم موتاهـا

حُسبوا في الرجالِ، هل كانت الأنعامُ إلاّ لمثلِهم أشباها؟..

* * *

يا رجال البلادِ يا قـادةَ الأمةِ ماذا دهـاكم ودهاها؟..

هـل لديكم سياسةٌ غـير هذا القول يُحيي من النفوس قواها

صكّت الألسنُ المسامع حتى لقيتْ من ضجيجكم ما كفاها

عرفَ الناسُ والمنابرُ والأقـلام افضالكم فهاتوا سواها

كلكم بارعٌ بليغٌ – بحمـد الله – طبٌّ بحالنـا ودواها

غير ان المريض يرقبُ منكم هـذه الجرعة التي لا يراها

كان اولى بكم لو ان مع القول فعـالاً محمودةً عقباها

مثَلُ القولِ لا يؤيّده الفعل، أزاهـيرُ لا يفوح شذاها

وهو كالدّوحةِ العقيمِ: ظلالٌ واخضرارٌ ولا يُرجّى جناها

* * *

رحم الله مخلصاً لبلادٍ ساوموه الدنيا بها فأباها
لو أتوه بالتبر وزنَ ثراها لأباه وقال أفدي ثراها
أنفروا أيها النيامُ فهذا : يوم لا ينفع العيونَ كراها
كُشِفَتْ منكم المقاتلُ وامتدّتْ اليها المثقفاتُ قناها
نبّئوني عن القويّ متى كان رحيماً ، هيهات من عزّ تاها
لا يلينُ القويُّ حتى يُلاقي مثله عِزّةً وبطشاً وجاها
لا سمتْ أمةٌ دهتها خطوبٌ أرهقتها ولا يثورُ فتاها

أنـــتم ..![1]

أنتم (المخلصون) للوطنيه	أنتم الحاملون عبء القضيه !!
أنتم العاملون من غير قولٍ !!	بارك الله في الزنود القويه !!
(وبيان) منكم يعادل جيشاً	بمعدّات زحفه الحربيه ..
(واجتماعٌ) منكم يَردُّ علينا	غابر المجد من فتوح أميه ..
وخلاص البلاد صار على الباب ،	وجاءت أعياده الورديه ..
ما جحدنا (أفضالكم)، غير أنّا	لم تزل في نفوسنا أمنيه :
في يدينا بقية من بلادٍ ..	فاستريحوا كيلا تطير البقيه !.

(١) موجهة الى الزعماء الفلسطينيين السابقين .

- ٦ -

فوزي المعلوف
١٨٩٩ - ١٩٣٠

وهــذه ايضاً قصة شاعر نابه من شعراء الثورة والتجديد ، والإرعـاد والإبراق ، وبثّ الحماس في قلوب الملايين من العرب ليعملوا على إعادة مجدهم السالف وحضارتهم الغابرة .

وهو ايضـاً من هؤلاء الشعراء الذين انتزعهم الموت من ارض الوطن وهم ما يزالون في ربيع الشباب ، وفجر الفتوّة، ففقدت بهم العربية زهرة رائعة، وعبقرية صارخة ، كأنمـا الموت لا همّ له إلا ان يخطف الخالدين ويترك الموتى من الأحياء .

لقد كتب الدكتور (طه حسين) يقول بعد ان قرأ قصيدته (على بساط الريح) ، وذلك بعد وفاته :

(مرّ فوزي المعلوف بالارض مرّاً سريعاً ، ولكنه ترك في النفوس صدى يتردّد فيها حلواً لاذعاً محرقاً معـاً ، ولا اعرف اني تأثرت بشاعر كما تأثرت بهذا الشاعر حين قرأت قصيدته (على بساط الريح) .. فاهتزّت لهـا نفسي اهتزازاً ، وانشقّ لهـا قلبي انشقاقاً ، ثم قرأتها اليوم فوجدت لقراءتها مثل ما وجدت امس ، او اكثر ممـــا وجدت امس ، وما أرى إلا اني سأقرأها وأقرأها ، وسأجد في قراءتها في هــذه المرة اللذة التي يحبها الأديب حين يقرأ الشعر الجيد الرائع الجميل) .

(أي روح عـذب ، وأي نفس حلوة ، وأي سحر خـلاب ، وأي فنّ رائع ، وأي موسيقى خليقة بالشاعر) ...

وُلد فوزي المعلوف في زحله، من اعمال لبنان، في اليوم الواحد والعشرين من شهر آذار سنة ١٨٩٩ ، وتعلّم القراءة في صغره ، وأرسله والده المرحوم

عيسى اسكندر المعلوف ، الى المدرسة وهو في الثامنة . وقد كتب يصف هذا الطور من حياته فقال :

(كنت كثير الحياء ، بسيط القلب طاهره ، أتجنب غالباً رفاقي، وأجنح الى العزلة ، غير ميّال الى الالعاب ، تتكاثف السويداء في افكاري ، فأبعد عن المجتمعات ، لا احب أسر حريتي .. وكنت في المدرسة حاضر الذهن ، قويّ الذاكرة ، فضولياً في معرفة الصحيح ، أميل الى اللغة العربية والى الشعر العربي خاصة) .

بدأ نظم الشعر وهو في الرابعة عشر من العمر ، ووقف يخطب في نفس السنة وفي نادي جمعية النهضة العلمية التابعة لمدرسة الكلية الشرقية في زحله.. وفي اول سنيّ الحرب العالمية الاولى ذهب الى مدرسة الفرير في بيروت ، فلما أوصدت ابوابها عام ١٩١٤ لدخول تركيا في الحرب ، الى جانب المانيا ، عاد الى بيت والده في زحله يطالع ويدرس بمساعدة والده ، فوجد فيه مصلحاً ممتازاً ، وفي مكتبته ما يحتاجه من المعارف والعلوم ، وكتب الادب والشعر.

فلما انتهت الحرب ودخل الحلفاء الى سورية استدعاه والده الى دمشق ، وكان عضواً في المجمع اللغوي وقيّماً على الآثار العربية ، فعمل فوزي كأمين لصندوق دار المعلمين ، ثم كاتماً لأسرار المعهد الطبي العربي ، وأخذت الصحف منذ هذا العهد تنشر اشعاره ، كما اخذت المنابر تسمع خطبه .

ويبدو ان هذه الحياة لم تشبع مطامعه ، فسافر في سنة ١٩٢١ الى (ساو باولو) حيث انصرف الى تأسيس مصانع الحرير مع شقيقيه اسكندر وشفيق وذي خؤولته من بني المعلوف ، ولكن هذا لم يلهيه عن نظم الشعر ولا عن المشاركة في الحياة الأدبية ، فنظم المقاطع والملاحم ، وأنشأ في هذه المدينة (المنتدى الزجلي) لتوثيق عرى الاتحاد بين الجاليتين السورية واللبنانية، ولتقف الجاليتان مع الجاليات الاجنبية جنباً الى جنب ، في مضمار التقدّم والاعمال والاحسان ، فازدهر النادي في عهده وتحت رئاسته ، ومثلت في صالته المسرحيات والروايات ، وأقبلت الجالية عليه اقبالاً شديداً .

أغراضه :

ولقد أصاب فوزي في تجارته مع اخوته وأخواله ، نجاحاً مرموقاً ، ولكنه لم ينس الأدب ، ولا تغافل عن قرض الشعر ، فمضى فيه على وجهه ، ينظم ويكتب ويخطب ، ويؤلف الروايات ، فاشتهر اسمه وتألق نجمه ، ولحظ النقاد في أدبه وشعره شيئاً جديداً ، ومعدناً فريداً ، فقرّظوه ، وأشادوا به ، حتى ان المستشرق الدكتور (مير) وكان يدرس اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية ببرلين ، ورئيس جمعية الدراسات الاسلامية فيها ، كتب مقالاً في مجلة (معرض الأفكار الشرقية) يقول :

(تتمشى النهضة الأدبية في الأقطار العربية الثلاثة،مصر والشام والعراق، بخطى متساوية متوازنة كأنما هي قلب خفّاق يهتزّ تحت عاطفة واحدة ، ويتنفس عن شعور واحد ، وقد انقسم السائرون بها ، من حملة الأقلام الى أقسام ثلاثة :

الأول - مشبع بالحنين الى القديم ، وإن طرب لبعض بدائع الجديد .

والثاني - يصغي الى موسيقى التطور الأدبي في الغرب ثم يوقع أنغامه على وتر شرقي .

والثالث - النشء الجديد وهو كعنادب الربيع ، تسمع منه وهو في صبح الحياة ألذّ أنغام الآمال، كا ترى فيه جميع ابتسامات المستقبل العذبة ... ومن هذا الفريق فوزي المعلوف)..

وأخيراً ، وبينما كان هذا الشاعر الغرّيد يخطر في برد شبابه ، تعرّض لمرض عضّال ، فذهب لمآبه في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٣٠ فخسرت بموته العربية صديقاً ومدافعاً ، وخسر به الشعر راية مجدّدة لم يملأها غيره ..

كان ممن لا يعبدون المال ، ولا يرى في غير العمل الخير والوطنية ملاذاً وسبيلاً الى سؤدد الاعمال ورفيع الغايات .

المال ليس مشرّفاً لرجاله   قدر الرجال هو المشرف مالها
لا خير في نعم رفلت بثوبها   إن لم تفد منها الحياة وآلها

وطني عربي أصيل في وطنيته وعروبته .. أحسّ بآلام وطنه، واختلاف أهله ، وتمزّق اسبابه ؛ فصاح يقول وهي من أوائل شعره :

تجافيت في شعري السياسة مدة   لعلمي بما يرمي به قائل الصدقِ
وعندي شؤون لو اردت بيانها   لكان نصيبي ان أساق الى الشنق
أرى امتي تمشي بكل غباوةٍ   الى حيث لا تلقى سوى البؤس والسحق
لقد قيل ان الشرق أتعس موطنٍ   ونحن لسوء الحظ أشقى بني الشرق

ويشتدّ به الأسى حين يشاهد ديار الغرب وحضارة أهلها ، وتقدّمهم في مختلف الصنائع والفنون ، فيهتف منشداً :

لا المجد في الارض يرضيني ولا الذهب   إن لم يكن في بلادي المجد والنسبُ
ولا السعادة بين الناس تقنعني   إن كان من حظّ قومي الضيم والنصب
تالله ما البعد ينسيني مودّتهم   فالجسم مبتعد والقلب مقترب
الناس نحو الترّقي مشيها خبب   ونحن نحو التلاشي مشينا خبب
والجهل والدين والإهمال علتّه   وليس علته غاز ومنتدب
ايه بني وطني والناس قاطبة   لرفع أوطانها قامت لها أهب
هبّوا الى المجد ولننشيء لنا وطناً   قوامه العلم لا الخطّية القضب

* * *

تالله لا ترتقي إلا متى اتحدتّ   تلك المآذن في الاوطان والقبب
ولتستعِدْ لغة الضاد التي دُعِيَت   أمّ اللغات ثياباً بردها قشب
إن لم نكن كلنا في أصلنا عرب   فنحن تحت لواها كلنا عرب

التشاؤم :

وفوزي من الشعراء الذين ضاقوا ذرعاً بالدنيا ايضاً .. رغم شبابه وثرائه وابتسامته المرحة التي كانت لا تفارق ثغره .

وإذا كان من حق (الشابي) وهو الفقير البائس العاني ان يضيق صدراً بالحياة .. وبالمرض الذي نزل به وهو لا يزال في اول شبابه ، فما الذي حمل

فوزي المعلوف على التشاؤم والضيق وقد اعطته الدنيا ، ما لم تعط غيره من الشعراء البائسين الفقراء .

اضاق صدره لمغادرته وطنه ، ام لبؤس هـذا الوطن وتخاذل اهله ، واختلاف شيعه ، وتعدد احزابه ؟

ام ترى التشاؤم علق بـه كما علق بالشاعر ابن الرومي من عقدة علقت به فلم يعد يستطيع دفعاً لها ولا رداً ؟.

يولد الطفل للعذاب وهذي سنة الدهر وقى الطفل شره
بين اوجاع امـه دخل المهد وبين الاوجاع يدخل قبره
بشرت بالجنين وهو نذير لا بشير فالسوء يملأ عمره
ما وليد الآلام غير اسير والردى وحده يحرر اسره
ضاقت الارض في الحياة عليه وكفته في الموت اضيق حفره
(تعب كلها الحياة) وهـذا كل ما قال فيلسوف المعرة

وهو الى هذا كزميله (الشابي) يريد معرفة سر الوجود ، ولماذا جئنا ، والى اين صائرون ؟

كيف جئنا الدنيا ومن اين جئنا ؟ والى أي عـالم سوف نفض ؟
هـل حيينا قبل الوجود ؟ وهل نبعث بعد الردى وفي أي ارض ؟
هو كنه الحياة ما زال سراً كل حكم فيـه يؤول لنقض
كيف اجلو غدى؟ وأدرك امسي وأنا حرت كيف يومي سيمضي
قـد حيينا قبل الولادة لكن بجدود قضوا كما سوف نقضي
وسنحيا بعـد الردى ببنينا في كيان نعطيه بعضاً لبعض

ولقد ودع فوزي وطنه لما غادره الى اميركا فقال مستحثاً الهمم، متذمراً من الفساد والتعصب والرضى بالذل والاستعباد :

مهما يجرْ وطني عليّ وأهـله فالأهل اهـلي والبلاد بلادي
ارثي لبؤسهم فأنـدب حالهم بفمي وأرثي حظهم بمـداد

خبطوا بظلمات الضلال ولم يقم فيهم الى السبل القويمة هاد
واستعذبوا ذل القيود فأصبحوا يتفاخرون بنير الاستعباد
وغدا بهم لبنان بعد عجيجه بالأسد ، مأسدة بلا آساد
هم ضيّعوا ارث الجدود فنالهم غضب الجدود ولعنة الاولاد
قسماً بأهلي لم افارق عن رضى اهلي وهم ذخرى وركن عمادي
لكن أنفت ان اعيش بموطني عبداً وكنت به من الآساد

وقال لما أحسّ بوهن كرامته القومية وقيام الانتداب والاستعمار في لبنان والارض العربية :

أمري عجيب – بين الامم أنى أميل – ألقى المِحَن
انا الغريب – فلا علَم ولا قبيل – ولا وطن

وقال من قصيدة عنوانها (أماني مهاجر) :

انا الغريب فلا اهل ولا وطن اذا انتسبت امام الناس وانتسبوا
ولا لواء اذا دقّ النفير مشى يحميه من صيد قومي العسكر اللجب
ومن يكون غريباً في مواطنه لا بِدْعَ إن أنكرته الارض والشهب

هـذا هو فوزي المعلوف .. شاعر عربي صميم ، ضاق صدره من تشتت امته وتفرّقها ، فجاشت نفسه بهذه الأبيات اليتيمة الحزينة . ولا أدلّ ولا أوضح ولا أصدق على عروبته من قوله في خطبة مستفيضة ارتجلها في حفل ضمّ رعيلاً من شباب العرب في دمشق ، وقد استهلها قائلاً :

(إننا امّة تجمعنا ثلاث حلقات : حلقة من نار وهي امجاد جدودنا العرب ، وحلقة من حديد وهي قيودنا التي نعانيها ، وحلقة من ورد وهي آمالنا في المستقبل الذي نريده عهداً جديداً للعرب) .

ويحزنني، بل ويحزن كل شباب العرب ان مات فوزي قبل ان يرى العهد الجديد في المارد العربي الذي أقبل يغني الامجاد التي كان يندب فقدانها، فنشط الجميع لصوته ، وثار الناس لنشيده ، واصبحت الدنيا غير الدنيا ، والناس غير الناس ...

- ٧ -

عمر ابو ريشة

الشاعر السوري العربي المعروف

شاعر رائع الاسلوب والديباجة، عمل في الادب والسياسة ، وكان في المدة الاخيرة سفيراً لسورية في الخارج .

وهذه مختارات من شعره القومي الوطني :

أمـــتي

أمتي هل لكِ بين الأمم ... منبر للسيف او للقـلـمِ
أتلقـاكِ وطرفي مطرقٌ ... خجلا من أمسكِ المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً ... ببقـايا كبرياء الألم
أين دنياك التي أوحت الى ... وتري كل يتيم النغم
كم تخطيت على أصدائه ... ملعب العزّ ومغنى الشمم
وتهاديت كأني ساحب ... مئزري فوق جباه الأنجم
حلم مرّ بأطيـاف السنا ... وانطوى خلف جفون الظلم

* * *

امتي ، كم غصّة داميـة ... خنقت نجوى عُلاك في فمي
أي جرح في إبائي راعف ... فـاته الآسي فلم يلتئم
ألإسرائيل تعـلو راية ... في حمى المهد وظلّ الحرم
كيف أغضيت عن الذلّ ولم ... تنفضي عنك غبـار التهم ؟
أوَما كنت اذا البغي اعتدى ... موجة من لهب او من دم
فِلمْ أقدمتِ وأحجمتِ ولم ... يشفكِ الثأر ولم تنتقمي ؟
اسمعي نوح الحزانى واطربي ... وانظري دمع اليتامى وابسمي

واتركي الجرحى تداوي جرحها — وامنعي عنها كريم البلسم
ودعي القادة في أهوائها — تتفانى في خسيس المغنم
ربّ وامعتصماه انطلقت — ملء أفواه الصبايا اليتّم
لامست أسماعهم لكنها — لم تلامس نخوة (المعتصم)

* * *

امتي ، كم صنم مجّدته — لم يكن يحمل طهر الصنم
لا يُلام الذئب في عدوانه — إن يكُ الراعي عدوّ الغنم
فاحبسي الشكوى فلولاك لما — كان في الحكم عبيد الدرهم

* * *

ايها الجنديُّ يا كبش الفدا — يا شعاع الأمل المبتسم
ما عرفت البخل في الروح اذا — طلبتها غصص المجد الظمي
بورك الجرح الذي تحمله — شرفاً تحت ظلال العَلَم

هذه أمتي

أهتاف خلف البحار بصهيون — وحدب على بناء كيانه ؟
ومن الهاتف الملحُّ ؟ أحرٌّ ؟ — أين صدق الأحرار من بهتانه ؟
أين ميثاقه ؟ أتنحسر الرحمة — في دفتيه عن عدوانه ؟
يا لذلّ العهود في فم من — أجرى على عزّها دما فرسانه
أي فلسطين يا ابتسامة عيسى — لجراح الأذى على جثمانه
يأتيني البراق في ليلة — الاسراء والوحي ممسك بعنانه
لا تنامي خضيبة الحلم خوفاً — من غريب الحمى ومن اعوانه
ان للظلم جولة فدعيه — ربّ حارٍ رداه في ثعبانه
هذه امتي فيا لشراع — يتلقى العباب في هيجانه
علمته الأنواء ان يزدريها — ويجرّ المرساة في شطآنه

- ٨ -

عبد الرحيم محمود

الشاعر المصري العربي

مختارات من شعره :

الشهيد

سأحمل روحي على راحتي — وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسرّ الصديق — وإما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان — ورود المنايا ونيل المنى
لعمرك اني أرى مصرعي — ولكن أغذي اليه الخطى
أرى مقتلي دون حقي السليب — ودون بلادي هو المبتغى
يلذّ لأذني سماع الصليل — ويبهج نفسي مسيل الدما
وجسم تجندل في الصحصحان — تناوشه جارحات الفلا
فمنه نصيب لأسد السماء — ومنه نصيب لأسد الشرى
كسا دمه الارض بالأرجوان — وأثقل بالعطر ريح الصبا
وعفّر منه بهي الجبين — ولكن عفاراً يزيد البها
وبان على شفتيه ابتسامٌ — معانيه هزءٌ بهذي الدنا
ونام ليحلم حلم الخلود — ويحلم فيه بأحلى الرؤى

* * *

لعمرك هذا ممات الرجال فمن رام موتـاً شريفاً فذا
فكيف اصطباري لكيد الحسود وكيف احتمالي لسوم الأذى
أخوفاً ؟ وعندي تهون الحياة وذلاً ؟ واني لرب الأبـا
بقلبي سأرمي وجوه العداة وقلبي حديـد وناري لظى
واحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى

الشعب الباسل

شعب تمرّس في الصعاب ولم تنل منه الصعاب
متمرّد لم يرضَ يومـاً ان يقرّ على عذاب
الحق ليس براجع لذويـه إلا بالحراب
والصرخة النكراء تجدي لا التلطف والعتاب
والنـار تضمن والحديد لمن تساءل ان يجاب
حكـّمهما فـيما تريد ففيهما فصل الخطاب
ان لم تكن ذئباً تخـاف فرتك انياب الذئاب
من عاش ما بين الوحوش يكن له ظفر وناب
فشل الذي جعل الكلام مجنـّة تحمي ، وخاب

الى الفتاة العربية

يا ابنة العرب حطـّمي الاغلالا ارفعي الصوت واطلبي استقلالا
وافتحي مقلتيك للنور وامشي في طريق الجهاد فالليل طالا
وانشري راية العروبـة حق تجدي المجـد يستطيب الظلالا
راية العزّ بات يحرسها الدهر وقـد عانق الصليب الهلالا

* * *

ايها الظالمون نحن على العهد بأنا لا نقبل الاذلالا
احكموا في جسومنا ما استطعتم ان ارواحنا اجلُّ منالا
يا فلسطين ابشري سوف لا نرجع حتى نحقق الامالا
ان عهد الكلام ولّى فقومي يا فلسطين وانظري الاهالا
قد نثرنا على ثرى الوطن الغالي قلوباً تستعذب الاهوالا

* * *

يا تراب الجدود صبراً فلن نهدأ حتى نغيّر الاحوالا
نحن نفديك يا بلاد فلسطين نساء وفتية ورجالا

هل غير سيل من دم

هل غير سيل من دم دافق يروي غليل الساخط الحانق
ام غير لألأ الظبى والقنا يزيل من قلبي دجا الغاسق

* * *

ضاقت بي الدنيا واني بها اضيق ، يا لي من فتى ضائق
روحي عبء مثقلٌ عاتقي أيان القي العبء عن عاتقي
تغلو على الناس ولكنني ابيعها للناس بالدانق
يا ليتني أشلاء في مهمه مناشة الناعب والناعق
او ليت لي ناراً فأكوي بها وأنشوي في نارها الحارق
متى أراني بتُّ طي الثرى يسحقني بالكلكل الساحق
واغمض العينين عن عالم لا يمتلي فيه سوى الفاسق
يحظى به الكذاب بالمشتهي والتعس للمخلص والصادق
الخير والخبز غدا حكرة لبعضهم ، والويل للسارق

يا عيـــد

يا عيد ، ما افترّ ثغر المجد ، يا عيد   فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريد
وكيف ينشقّ عن اطياف عزتنا   حـلم وراء جفون الحق مؤوود
طالعتنا وجراح البغي راعفـة   وما لهـا من اساة الحي تضميد
فللفجيعة في الافواه غمغمـة   والرجولة في الاسماع تنديـد
فتلك راياتنا خجـلى منكسة   فأين من دونهـا تلك الصناديد
مـا بالها وثبت للثأر وانكفأت   وسيفها في قراب الذل مغمود
يا للشعوب التي قـادت ازمتها   على الليـالي ، عباديد رعاديـد
فاطمعت كل باغ في كرامتها   لا يُلطـَم الليث إلا وهو مصفود

* * *

يا عيد كم في روابي القدس من كبد   لهـا على الرفرف العلوي تعبيد
سالت على العزّ ارواء لغصته   والعز عنـد اباة الضيم معبود
هيهات لن يشتكي ما طُلّ من دمها   فالحقد مضطرم والعزم مشدود
سينجلي ليلنا عـن فجر معترك   ونحن في فمـه المشبوب تغريـد

عدنان الراوي

مختارات من شعره

كان رحمه الله من شعراء العراق المجيدين ، وقد ذهب لمآبه شاباً كما ذهب غيره من شعراء هذا الجيل الثائر .

بلاد الحريـــة

قيّدونا مـا شئتمو قيدونا ... ثم بشوا آذانكم والعيونا
وخذونا بالظلم إمّـا نهضنـا ... وخذونا بالسوط حتى نلينـا
واشمخوا بالقلاع برجاً وبرجا ... واجعلوها لمن اردتم سجونا
وأبيحوا الحصون للشعب زجّاً ... وابعثونا خلف الحصون سنينا
انمـا فكرة التحرر فينـا ... قد غدت مذهباً وروحاً ودينا

* * *

يا نشيد الأصفاد ، ولّت عهود ... كنت فيها هواتفا ورنينـا
انت فينا الصراخ إذ يتعالى ... قد دَفنّا خلف الصراخ الأنينا
ودفنا خلف القلوب جراحـاً ... مثخنات لا ترتضي ان تبينا
ونداء الأحرار انت اذا مـا ... اسكت الظلم ـ ههنا ـ الناطقينا
يا نشيد الاصفاد هلّل فإنا ... قد سئمنا حياتنـا ساكتينا
واذا مـا غدا الكلام جنوناً ... فلنودع فيـك الحياة جنونا

* * *

يا نشيد الاصفاد خذنا عبيداً — هكذا شاء دهرنا ان نكونا
ثم قدنا الى المقاصل حينـا — ثم قدنا الى المقابر حينـا
وابتدرنا بالسوط ان لم نقدّم — ارجلاً ـ نحو ما ترى ـ طائعينا
وعلينا صب الرصاص اذا مـا — عطـل الدّاء فتية مقعدينا
يا نشيد الاصفاد نحن عبيد فمن — العـار ان نبث الشجونا
وسوانا يبني الممالك عدلاً — وسوانا يبني البـلاد فنونا
نحن في دولة التحرر هذي — قد غدونا من ظلمها لاجئينا
وطوينا على المآسي عيوناً — وفتحنـا على القيود جفونا

* * *

يا نشيد الاصفاد هلل فهذي — أمنيـات للسادة الحاكمينا
ولنهلل فالشعب يكظم غيظا — ولنهلل ، ولنستحث المنونا
ان دهراً ولى ، ودهراً سيأتي — وانتظاراً ونقمة وظنونا
حجة في فم الخلائق سارت — فمتى يفتضح المكان المكينا
ومتى يكشف القناع شباب — ومتى يملأ الشباب السجونا

سكوت

شعب يجـوع — وبـلاده (قيمان) ظامئة التراب
وله الدمـوع — وله السياط المثقلات من العـذاب
قالوا الفرات :
فيـه الحيـاة
وهـو الربيع — ما ضرّ لو يسقي الصحارى اليابسات
تلك الزروع — بالمـاء تحلم صبحها والأمسيات
أين الميـاه ؟
أين الرفـاه ؟

أين الرغيف ؟ (والخبز) يسرقه الطغاة من الشفاه
(وهم) لطيف ان نطلب الحق المضاع من (الإله)
ولنا الجوع
بأس فظيع
في الانتقام وتظل (دجلة) في مسالكها تضيع
نهر حرام يجري الى البحر العظيم مع الدموع
والظالمون
لا يتعلمون
أين المصير ماذا يريد الظالمون المنعمون ؟
(ذل) خطير والناس يدرون المصير ويسكتون

وطن العبيد

ماذا اريد ؟
أقسمت قبل اليوم (بالدم) والحديد
وأظلّ أُقسم للفكاك من القيود
بدم الشهيد
في الرمل يسفحه (التحرُّر) والوثوب
في البيد يصبغها بألوان الغروب
رمل وبيد
في ذلك الوطن اُلمقام على الدماء
وطن الرجال (البائمين) دم النساء
وطن العبيد
وطن السياسة (والرئاسة) والخضوع
وطن (الأنين) يشقُّ اطراف الضلوع
وطن اللحود

لا شيء يخلد فيك يا وطن القبور
إلا (الضحايا) والضحايا لا تثور
أفلا تعود ؟

لو ترجع الأجداث يحضنها (الكفن)
ويعود ركب (الذائدين) عن الوطن
وعن الحدود

ركب (المغاوير) الحماة الراحلين
ركب المضحّين (الأُباة) الغائبين
ركب الشريد

اللاجيء المحروم من (شمّ التراب)
في ذلك الوادي المغطى (بالسراب)
وادي النشيد

في ظلّ أعشاش البلابل والنسور
في ذلك الصمت المخلّد في الصدور
صمت الجليد

لا شيء كالمجد المرفرف في القلوب
ذابت اساطير الحياة ولا يذوب
حب الخلود

حسب البلاد المستذلة (للطغاة)
اللابسين (القزّ) من (جلد العراة)
جلد حديد

لانت سياط الظالمين ولا يلين
ويظلّ يخضع للطغاة ويستكين
فوق الوريد

لو ثار من (فوق السواعد) والصدور
ثاراته الظلم المديد مع الدهور
ظلم مديد

لا تمسح الاجيال آثار الانين
في ذلك الثغر المذلل والجبين
ذل عتيد

وبكل قلب من قلوب الساكتين
وبكل (صدر) من صدور الشاعرين
هل من مزيد؟

سيقول هذا الذل للمستضعفين
سيقولها (للجيل) جيل الحاقدين
جيل جديد

هو نبتة الأمل المودع في (الشباب)
هو ثورة الحق المعلق كالشهاب
بين القيود

سأظل اهتف (للشباب) واستزيد
وأظل اقسم بين (معترك الحديد)
بدم الشهيد

- ١٠ -

الشاعر القروي

رشيد سليم الخوري

الشاعر المهجري الكبير

الجهاد في سبيل الوطن :

سل الساحبين ذيول النعم
بما سلخوا من جلود الغنم
ألم تبق فيكم بقية دم ؟
ألا تشعرون بجمر الندم ؟
ألا تبصرون شقاء الوطن ؟

* * *

ويا ناعمين بذل القيود
ويا سادة في هوان العبيد
امن اجل تقبيل رجل العميد
وبري الذقون لفرط السجود
غدرتم بشعب وبعتم وطن ؟

* * *

بلادي ضللت سبيل الرشاد
وهمت من الدين في كل واد
فيا امّ كل نبيّ وهاد
بربك هلا عرفت الجهاد
ولو مرة في سبيل الوطن ؟

عيد الفطر

صياماً الى ان يفطر السيف بالدم — وصمتاً الى ان يصدح الحق يافمي
أفطرٌ وأحرار الحمى في مجاعة ؟ — وعيدٌ وأبطال الجهاد بمأتم ؟
بلادك قدّمهـا على كل ملة — ومن اجلها افطر ومن اجلها اصم
فما مسّ هذا الصوم أكباد ظالم — ولا هزّ هذا الفطر ارواح نوّم
اكرّم هذا العيد تكريم شاعر — يتيه بآيات النبي المكرّم
ولكنني اصبو الى عيد امّـة — محرّرة الأعناق من رقّ اعجمي
الى علم من نسج عيسى وأحمد — و(آمنة) في ظله اخت (مريم)
هبوني عيداً يجعل العرب امة — وسيروا بجثماني على دين برهم
لقد مزّقت هذي المذاهب شملنا — وألقت بنا ما بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحّد بيننـا — وأهلاً وسهلاً بعـده بجهنم

* * *

والشاعر الذي قرأت هـذه المختارات من قصائده شاعر عـاش يحارب الاستعمار والطائفية والجهل والطغيان .

كل قصيدة من قصائده قطعة ادبيـة انسانية دافعة .. بل فرقـة حماسية تدعونا جميعاً ، نحن قومه ، وأبناء عمومته ، الى الثورة على كل مـا يقف في طريقنا حتى نصل الى امجادنا وحرياتنا كاملة غير منقوصة :

فقل لشعب رام أن يستقل — ليس وراء اليأس غير الفشل
وأنما ينقل هـذا الجبل — بالهمة القعساء لا بالكسل
والعزم لا إيمان اهل الخول

ثم يثور على النائمين ثورة يائس ضاع نصحه فيهم سدى :

وقل لمن ضلـّوا سبيل الهدى — وضاع فيهم كل نصح سدى
يا وطني منك نفضت اليدا — فمن يحـاول عنك دفع الردى
حاول أمراً دونه المستحيل

ولكنه سرعان ما يحطم يأسه على صخرة عزمه وحبه لشعبه فيصرخ من اعماق قلبه :

لا، لا، ستحيا رغم أنف الزمن بل أنت حي رغم هذا الكفن
ما دام حر واحد في الوطن فهو بهذا الحر حرٌ وإن
عاش به مليون عبد ذليل

* * *

وللشاعر القروي ديوان كبير يبلغ الف صفحة تقريباً طبعه في سان باولو.

- ١١ -

عمر ابو النصر

لست من الشعراء ، وإن كنت قد نظمت الشعر في فجر شبابي يوم كنت في الجامعة الاميركية .. وكان سبب النظم استاذنا الكبير (انيس المقدسي) فقد كان يدفعنا الى النظم قبل ان يستقيم لنا عود فيه .. يحاول تعويدنا على المركب الصعب منذ الصغر .

وكنا طبعاً نحاول القصيدة الكبيرة الطويلة ، فـإذا اعيتنا الحيلة في جمع القوافي التي تتناسب مع ابيات القصيدة ، عمدنا الى المتنبي فاستبحنا ديوانه ، لا نلقي بالاً لما سيقوله او سيفعله ولو بعد موته ، ذلك ان هذا الشاعر العملاق كان بخيلاً في ماله ، سهلاً في شعره وكلامه .

والواقع اني لست بشاعر .. ولست انكر اني عالجت الشعر في ماضيات ايامي كما عالجت اشياء كثيرة اخرى ولكني اخفقت ، فارتدعت وكففت .. ولو فعل غـيري مثلي ، لحسنت حالة الدنيا ونفق الأدب ونجونا من كثير من الشعر الفارغ الاجوف .

هـذه القصائد التي ُنظمت في ايام الدراسة ، مزّقناها بعد الدراسة .. وطوينا تاريخها وحديثها .

ومـا ما يلي فأناشيد اثارتها المعارك والمآسي الاخيرة التي لحقت بنا ، فرحنا للتهوين من هذه الخطوب ، ننظم الشعر ، ونلقي القصيد ، ونجري على رويّ الاغنية املا بالأمل الجديد ، والفجر المقبل .

لبّيك مجد العرب

الدهر دارت دورته　　　والمجد حانت عودته
والشعب قامت ثورته　　　لبّيك مجد العرب

* * *

إنما نحن شباب　　　عزنا الماضي نريد
إنما نحن سيوف　　　صاغها شعب مجيد
كلنا يطلب مهراً　　　من علوم وحديد
قد بنى الآباء مجداً　　　خالد الوشى فريد
ليس يرضينا تماماً　　　سوف نبني ونزيد

* * *

عقّنا الدهر زمانا　　　غاية الدهر الجحود
فشربنا الذل قسرا　　　آية الذل الجمود
نفسنا تأبى هوانا　　　ذلّ من يرضى القيود
فغضبنا ونهضنا　　　نطلب المجد الشرود
في شباب وعذارى　　　المعالي والخلود

* * *

كيف ترضون بحال　　　كلكم فيه عبيد ؟
ذلّ من والاه منا　　　من كبير وصغير وعميد
ليس يرضينا كلام　　　ليس يثنينا وعيد
همهم حكم وسلب　　　وشراب ونفاق ووعود

نشيد المعركة

ارفعوا الاعلام واشدوا وارکبوا الارض وغنّوا
وانشدوا الامجاد وامضوا فالعلى سعي وعزم وحديد

* * *

يا شباباً غادرونا للنضال ودّعوا الاهل وساروا للنزال
يا بيوتاً اقفرت منها الرجال في سبيل المجد والعز العتيد

* * *

يا رفاق الحي في الوطن الشهيد يا حماة العرب في الزمن الشديد
انظرونا نطلب المجـد البعيد رغم أنف الدهر والخصم العنيد

* * *

يا جبـالاً زغردت للراحلين من شباب وكهول ثائرين
انمـا الحرب سبيل الخالدين وشعار الحر والشعب المجيد

* * *

يا نساء ارضعونا لنسود ورجـالاً هيئونا لنذود
انثروا الأزهـار إنا سنعود لبناء الارض والعز التليـد

- ١٢ -

وطنيات مختارة

شقيت أمة

شقيت امة اذا المجد ناداها تلوّت على الأسرّة كسلى
اغلِ مهر العلى اذا كنت شهماً هان من نام في الطريق وذلّا

بشاره الخوري

وطن الجميع

وطن الجميع على خدود رياضه تختال فاطمة وتلعب مريم
أكانه البيضاء تحت سمائه الزرقاء اطفال تنام وتحلم
تتصاعد القبلات من انفاسها وتمرّ بالوادي الوديع وتلثم

بشاره الخوري

فدع الكلام شكاية وعتابا

دنياك يا وطن العروبة غابة حشدت عليك اراقماً وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارقاً واجعل لسانك مخلباً او نابا
لا شرع في الغابات إلا شرعها فدع الكلام شكاية وعتابا

ايليا ابو ماضي

امة عافت الصغار

امة عافت الصغار فألفت بين احرارها ليوثاً غضابا
قرّبوا للفخار نذراً وللنار طعاماً وللتراب شرابا
ما لناب يغالب الجسم فخر بل لجسم يغالب الانيابا
صمّت الاذن عن عتابك حتى أدركت ان للسيوف عتابا

شفيق المعلوف

هجروها

لهفي للربوع تضحي وتمسي وهي خلو إلا من التنكيد
هجروها وماءهـا وهواها لم يطيقوا فيها هوان القعود
ودّعوها والدمع ملء المآقي لنواها والنـار ملء الكبود
ولو ان الأصمّ يسمع صوتاً صرخوا بالبواخر الصمُّ عودي

فوزي المعلوف

قم نمحو عاراً

أشباب يعرب قم فنحن هنا نَلقي بِملء قلوبنا المحنا
قمْ نمح عاراً تحت وطأته كادت تمسّ جباهنا الدمنا
قمْ ردنا للحق نعبـده إنا لنوشك نعبـد الوثنـا

فرحات

لا تخف

ما مضى فات ليس يرجع ماض أو يفيد البكاء والأحزان
« ولك الساعة التي أنت فيها » فاغتنم ان يزينهـا الإحسان
لا تخف إنمـا المؤمل غيب ومن الغيب مغنم وأمـان
وادّخر للحياة قلباً جسوراً لا ينـال المنى ضعيف جبان

مترجمة عن الانكليزية

ارجعـــوا ...

ارجعوا أيهـا الطغـاة
وقفوا ايهـا البغـاة
اطرقوا ... شعبنا زحف فاحذروه فقـد عرف
وحـدة الصف والهدف

* * *

ارجعوا ايها الطغاة
آن ان نرفع الجباه
اطرقوا ... شعبنا الكبير بدأ الزحف والمسير
غاضباً ثائر الضمير مدركاً وحدة المصير
رائع الركب كالحجيج
من أغادير للخليج
يخطب المجد والشرف فاحذروه ، فقد عرف
وحدة الصف والهدف

* * *

ارجعوا ايها الطغاة
لن تمروا من القناة
فهي في الحب خيّرة وهي في الحقد منكرة
هي في السلم قنطرة وهي في الحرب مقبرة
لا تداعت قناتنا
تفتديها حياتنا
موعد الثأر قد أزفّ فاحذروه، فقد عرف
وحدة الصف والهدف

* * *

ارجعوا ايها الطغاة
بلغ الحقد منتهاه
حقدنا ماله امد وسيبقى الى الأبد
وستمضون كالزبد وسيبقى لنا البلد
مارد النصر قد هتف فاحذروه ، فقد عرف
وحدة الصف والهدف
ارجعوا ايها الطغاة

صالح جودت

سلوا الحرية

بني سورية التئموا ليوم خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عنـا وعنكم هل أذاقتنا الوصالا
وهل نلنـا كلانا اليوم إلا عراقيب المواعـد والمطالا
عرفتم مهرهـا فمهرتموها دماً صبغ السباسب والدغالا
وقمتم دونهـا حتى خضبتم هوادجها الشريفـة والحجالا
دعوا في الناس مفتوناً جباناً يقول : الحرب قد كانت وبالا
أيطلب حقهم بالروح قوم فتسمع قائلاً : ركبوا الضلالا

احمد شوقي

أقسمت باسمك

أقسمت باسمك والخلود ، وبكل غال في الوجود
بالنيــل بالاهرام بالشعب الأبيّ ببور سعيد
إذ جاءه الاعـداء طوفاناً يزمجر كالرعود
والنار تقذفها السماء مـع المعاول والجنود
فجميع ما بنت الحضارة والذين بنوا ، وقود
والناس فـيما بين اشلاء تناثر او شريـد

* * *

وتصبح عـذراء فتحسبها تنوح على شهيد
فــإذا بألفاظ البطولة والتحفز والوعيد
والطفل يحتضن السلاح هـدية في يوم عيد
والأم تهتف للبنين بكل احقـاد الجدود
وبكل ثـأر بات يرقبهم على أفق بعيد

* * *

سنقيم من اشلائنـــا سداً اذا وهت السدود
ونقوم دونـك بالقناة فلن تمر ولن تعود
والتربـة الشماء تقـبر كل طاغية عنيد
وإذا اتيت الى العرين فهل تذوق سوى الصديد ؟
أبداً وكل دم شهيد .. أبداً ووقفة بور سعيد

من أناشيد الثورة المصرية

نشيد العهد الصادق :

أقسمت باسمك يا بلادي ، فاشهدي أقسمت ان احمي حماك وافتدي
سأفي بعهدك بالفؤاد ، وباليـــدِ وبنور وجهك استضيء واهتدي
أقسمت باسمك يا بلادي يا بلادي

عاهدت نفسي أن أكدّ ، لتنعمي وأخوض أخطار الحمام لتسلمي
فاذا حييت فـــان ذكرك في فمي واذا قضيت فقـد فديتك بالدم
اقسمت باسمك يا بلادي يا بلادي

الجيش تعليه شجاعـــة جنده والغـــاب تحميه حميـة أسده
وشباب وادي النيل رافع مجده ولينصرن الله حافظ عهـــده
اقسمت باسمك يا بلادي يا بلادي

نبني لمصر قواعد المستقبل شمّاً رواسي في المكان الاول
ونسود بالعزم القوي ، ونعتلي ونقيمها شعلاً تضيء لمن يـــلي
اقسمت باسمك يا بلادي يا بلادي

محمود عبد الحي

- ١٣ -

الشعر الجزائري الحاضر

نختار من الشعر الجزائري الحديث ألوانا تمثل دعوة ملحة صريحة الى النهضة والأخذ بأسباب التقدم والحضارة ، فالشاعر (محمد العيد) مثلا يستصرخ فتية الوطن وأبناء الضاد في الجزائر ويدعوهم الى النضال :

أصابتنا الجوائح والرزايا ... وأعوزت المرافق والوقود
حنت اعناقنا الاغلال ظلماً ... وحزّت في سواعدنا القيود
فقم يا ابن البلاد اليوم وانهض ... بلا مهل فقد طال الرقود
وخض يا ابن الجزائر في المنايا ... تظللك البنود او اللحود

وقال الشاعر رمضان حمود :

لن ينال العز شعب كالجماد ... فقدَ الاحساس خال من شعور
لن ينال المجد شعب بالرقاد ... يترك اللبَّ ويعنى بالقشور
إنما المجد قرين بالجهاد ... ووئام وثبات في الظهور

وقال :

سئمت الحياة وعفت الشباب ... ولم أرَ في العيش ما يستطاب
أقول جهاراً ولا انثني ... ولو كان في القول مرُّ العقاب
دعوني فما المجد إلا القنا ... وخوض الجلائل عند الطلاب
فليست تنال العلا صدفة ... ولكنها بركوب الصعاب
دعوني أناضل عن أمة ... توارت حقوق لها بالحجاب
دعوني أناضل عن أمة ... فضائلها بين ظفر وناب
دعوني أناضل عن أمة ... عليها توالت شرور الذئاب

ولما وقعت الواقعة في فلسطين لعب الشعب الجزائري دوره في المعركة ، فقال محمد العبد :

قل لابن صهيون اغتررت فلا تحر ... ان ابن يعرب ناهض للثأر
أعرضت عن خطط السلام موليا ... فوقعت منها في خطوط النار
لا تحسبن بأن صبحك طالع ... فالبدر ويحك خادع للساري
سترى أمانيك التي شيدتها ... منهارة مع ركنك المنهار
القدس لابن القدس لا لمشرّد ... متصهين ومهاجر غدار

وقال الشاعر (بو شامة) يدعو فيهـا العرب للجهاد والنضال لاسترداد فلسطين :

أيها العرب أمة المجد والبأ ... ساء ماذا ترجون غير التفاني
إنه الموت في الكرامة والعـ ... ز او العيش في الشقاء والهوان
تحت حكم اليهود أخبث من عا ... ث فساداً في عالم الانسان
وألدّ الخصوم أبلوا بلاء ... منكراً في التخريب للعمران
أين ذاك الجزائري المجلّي ... في ميادين كل حرب عوان
كيف ترضون عيش أمن وخير ... وفلسطين في الجحيم تعـاني
هل نسيتم عهد الأخوة والقر ... بى وفضل التحرير والإحسان
رحم الله كل حر شهيـد ... في سبيل الاسلام والأوطان

ولما بدأت الثورة الجزائرية اتجه الشعر اتجاهاً ثورياً فقال الشاعر (العبد):

نبتغي العيش في الجزائر حراً ... مطلقـاً لا يخفه إرهـاب
أرشدينا السبيل ايتهـا الحـ ... راء فإنا قـوم اليك ركاب
يا شباب اتجه الى الشرق واحفظ ... كل كنز له اليـه انتساب
إنما الشرق نسبة العرب الأحـ ... رار لم تنقطع لهـا اسباب
إنـما الشرق للعروبة كهف ... آمن الظلّ بالأذى لا يصاب
إنـما الشرق للعروبة ورد ... بارد المـاء سائغ مستطاب

وأما الشاعر (صالح الخرفي) فيحدثنا عن شهر (نوفمبر) تشرين الثاني شهر الثورة الجزائرية ، وكيف ثارت الجزائر عند إطلاله :

بايعت من بين الشهور (نوفمبراً) ورفعت منه لصوت شعبي منبرا
شهر المواقف والبطولة قف بنا في مسمع الدنيا وسجّل للورى
فلأنت مطلع فجرنا وزناد بر كان أثرت كمينه فتفجّرا
دوّت بمطلعك الخصيب رصاصة فاهتزت (البيضاء) وانتشت الدرا
وانزاح فجرك عن مصبّ من دم الـ أحرار فانتعش الجديب وأزهرا
خبأت معجزة تمخض ليلك الد اجي بها والأرض في سنة الكرى
يا وثبة الأحرار منا ، يا (نوفمبر) لما تزل علماً لقافلة السرى

— انتهى —

الفهرس